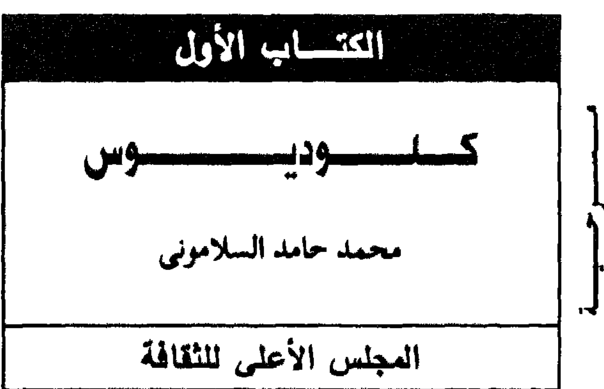


مسرحية

الكتاب الأول

كلوديوس

محمد حامد السلاموني

المجلس الأعلى للثقافة



المجلس الأعلى للثقافة

الكتـــاب الأول - ١٩٩٥

كــلـوديـوس

مـسـرحـيـة

محمد حامد السلامونى



الفصل الأول

المشهد الأول

هاملت : هكذا تمضى الأمور..
لم يمر على موت أبى شهران، بل أقل من شهرين – ملك رائع إذا قيس بعمّى، كان يعشق أمى، ويهيم بها ويسهر على وجهها يطرد عنه الريح إذا هبّت – يا أرض، ياسماء!!..
أمحتوم علىّ أن أتذكّر كم كانت متعلّقة به إلى حد الإشتهاء؟!، بل كانت تشتهى ظلّه المديد، فتسعى فى أعقابه لتلملمه من الأرض!! – ومع ذلك لم تحتمل شهراً واحداً بعد موته !!.. أيها الضعف، أيها الضعف اسمك امرأة!!.. شهر مضى، ولم تكن قد أراحت قدميها بعد من الحذاء الذى مشت به وراء جثمان أبى.. ربّاه!!، تزوّجت عمّى، أخا أبى.. بعد شهر واحد، وعيناها لم يبرحهما الاحمرار من أثر الدمع الغزير الذى سكبته على أبى، وتزوّجت..!!، أيتها العجوز المتصابية، أيتها العجوز الفاجر، أتعلنين على الملأ عن كونك زانية؟!، ألا

تستحين؟!، أين حياؤك؟!

(تدخل أوفيليا)

أوفيليا : (منادية) هاملت...

هاملت : من؟!، إمرأة؟!

أولفيا : .. أتمزح؟!

هاملت : أوفيليا؟!، (بأسى) لم يعد قلبى معى..

أوفيليا : ماذا؟!

هاملت : لقد سقط منى سهواً، ألم تعثرى عليه وأنتِ فى الطريق إلى هنا؟

أوفيليا : ماذا تقول؟!

هاملت : لاشئ، فقط هناك حشرة تضطهد قلبى اسمها المرأة..

أوفيليا : (مندهشة، لا تجيب)

هاملت : ليتنى كنت هواءاً كى يكف عنى الموت الذى يجتاحنى كلّما تذكّرت انكِ امرأة..

أوفيليا : هاملت!!

هاملت : كما تصدّقين أنكِ امرأة، يجب أن تصدّقى ما تسمعينه الآن، إن جسدى يقشعر كلّما تذكّرت لعبة الذكر والأنثى هذه التى تملأ الدنيا..

أوفيليا : والحب الذى بيننا، وكلماتك عن الحقول المخبأة فى أرواحنا والقمر الذى يكتمل فى قلبك كلّما رأيتنى..أين ذهب هذا كله؟! أم أنك لم تعد هاملت؟!..

نعم لم أعد هاملت، لم أعد ذلك الأبله المأفون.. أماه..

هاملت : لماذا يا أماه كلّما تذكرتكِ رأيت عمرى قد بلغ نهايته، رغم أننى لم أبرح المهد تماماً!!.. (ساخراً) عذّبت قلبى

بضوء القمر البارد وألهبته بالحب الذي لا حب فيه (صائحاً) أريد حباً عنيفاً، اريد ورداً عنيفاً، ما أجملنا وما أجملنا حين تسرقنا الطبيعة ونمضى لنحصى الأزرق فى السماء ـ أليس هذا ما كنت أردّده على مسمعك؟، يالى من تيس، يالى من أحمق، خدعتنى السنون ......أريد أن أمشى خارج المرأة.. أريد أن أمشى خارج جسدى، أمحتم علينا ان تلدنا النساء.. ..

أوفـيليـا : (تكاد أن تبكى) اتسخر منّى؟

هـامـلـت : لا لا.. أنا فـقط اعـيـد ترتيب قلبى.. آه، (ينظر إلى بعيد...) ألا ترين ما أرى؟

أوفـيليـا : (تنظر إلى نفس الجهة التى ينظر إليها..)

هـامـلـت : ألا ترين هذا الجرح؟

أوفـيليـا : جرح؟!..

هـامـلـت : نعم؟ وكم هو متّسع!!

أوفـيليـا : أين؟

هـامـلـت : فى الهواء ..

أوفـيليـا : (وقد فاض بها) أُف!!، لقد فقدت عقلك لا شك ولن أحتمل أكثر من هذا.. (وتهم بالخروج..)

هـامـلـت : إنتظرى....

أوفـيليـا : خدعتنى وجعلتنى أصدق أنك تحبنى، فأحببتك..

هـامـلـت : أنصحك بأن تكفّى عن طلاء وجهك بالمساحيق، إمتنعى عن الإختباء خلف هذا الوجه المصطنع الذى يخيفنى أكثر مما يخفى وجهك الذى أعرفه..

أوفيليا : (صائحة) لا، هذه إهانة، إهانة..
(اوفيليا تخرج باكية، هاملت ينفجر ضاحكاً، ويظل يضحك حتى يسقط على الأرض)

هاملت : مسكينة أوفيليا، صغيرة وساذجة.. (يضحك) رد فعلها يعنى اننى ممثل بارع، لكنها لا تعرف اننى كنت أُمثِّل....

المشهد الثانى

(الملك كلوديوس، قرصان، خادم يحمل صندوقًا كبيراً مغلقاً..)

الملك : أرسلت فى طلبك فور وصولك إلى أرض المملكة، بعد أن تستريح من السفر، لكن يبدو أن القرصان الماهر قليل الصبر، إذ يسعى إلى الربح قبل أن تسعى إليه...

القرصان : أشكرك يا مولاى على حسن تقديرك لى، ولو تفضّلت جلالتك بقبول هداياى المتواضعة، سأكون ممتناً.. (يخرج من الصندوق عقداً من الأحجار الكريمة) هذا لمولاتي الملكة، وهو عقد من اللؤلؤ والمرجان والزمرد، إشتريته من صقّلية، وقيل لى بأن أحد القراصنة أحضره من بلاد الهند..

الملك (يتناول العقد ويتأمّله بانبهار شديد) رائع..

القرصان : (يخرج أشياء أخرى من الصندوق) وهذه توابل وهذا حرير وذلك بخور وتلك نباتات ملوّنة، وكلها قادمة من بلاد الشرق يا مولاى..

الملك : (يتأمل الأشياء بدهشة) رائع، ائع..، هذا الشرق عامر بكنوز الأرض.. .

القرصان : نعم يا مولاى..

الملك : (يشير إلى الخادم بالإنصراف) وأتنى بالأرض..

(الخادم يهم بالإنصراف حاملاً الصندوق..)

القرصان : (للخادم) إنتظر..

(يخرج بندقية من الصندوق ثم يشير للخادم بالإنصراف، الخادم يخرج...)

الملك : هل أحضرت من هذه الأشياء كميات كبيرة؟

القرصان : لا يا مولاى..

الملك : لماذا؟

القرصان : لأنها غالية جداً، والنبلاء وحدهم هم الذين يملكون ثمنها، غير أن المقدّرون منهم لقيمتها قليلون، ثم إنهم بخلاء..

الملك : إذاً عليك بالتجّار..

القرصان : التجارة راكدة يا مولاى لأن أكثرية الشعب كما تعلم من الفلاحين المعدمين وليس بمقدورهم شراء ما يزيد عن المآكل، مولاى، لو أذنت لى أريد أن أهديك هذه..

الملك : (يتناول البندقية ويتأملها بدهشة) ما هذه؟

القـرصـان : بندقـيـة...

المـلـك : بندقـيـة!!، هذه هى البندقية؟!، قرأت عنها كثيراً ! لكنني لم أرها من قبل.. أتعرف كيف تستخدم؟

القـرصـان : بالطبع ..

المـلـك : رائع رائع، أيها القرصان.. هل سمعت عن فاسكو داجاما وكريستوفر كولمبس وجون كابوت وأمريجو وماجلان وكارتييه؟

القـرصـان : أظن ذلك يامولاى، فأخبارهم تتردد فى البحر..

المـلـك : هؤلاء قراصنة عظام، مكّنتهم الجرأة من اختراق حواجز الوهم العتيدة التى عزلت البشر عن بعضهم لملايين السنين، تلك الحواجز هى مسافة الخوف من المجهول التى انتصبت بيننا، وظللنا نتعرفّ أخبار بعضنا من الأصداء التى كانت ولازالت تمد إلينا من بعيد، دون أن نرى ونسمع بعضنا عن قرب، هل فهمت ما أعنى؟

القـرصـان : ليس تماماً يا مولاى..

المـلـك : لقد سمعت عن جرأتك وشجاعتك الكثير، وهذا ما جعلنى أرسل فى طلبك.. أريد أن تدخل بنا فى مغامرة اختراق الحواجز القديمة وتصير واحداً من هؤلاء الوحوش الأفاضل الذين يعملون بالبحر..

القـرصـان : كيف يا مولاى؟

المـلـك : سأمنحك المال لتبنى به أسطولاً بحرياً لا مثيل له، على أن تقوم برحلة إستكشافية جديدة لبلاد الشرق..

(الخادم يدخل حاملاً صندوقاً صغيراً نسبياً)

الملك : هل تؤمن بكروية الأرض؟

القرصان : سمعت عن ذلك، لكننى لم أتوقف عنده كثيراً.

الملك : كيف هذا؟

القرصان : لم أرَ فائدة ترجى منه..

الملك : (يضحك بشدّة) ماذا؟!..

القرصان : لى صديق اعتقد مؤخرا بأن الأرض كرة معلقة فى الفراغ، إلا أنه ظل يفعل نفس ما كان يفعله قبل اعتقاده هذا (الملك يضحك، بينما القرصان يستمر) فلم يزل يروح ويجئ ويعمل ويتكلم ويأكل وينام ويستيقظ كعادته منذ تعرّفت إليه طيلة الربع قرن الفائت، وهذا جعلنى أدرك أن الإختلاف حول شكل الأرض إن هو إلا مجرد اعتقاد، ولن يضيرنا فى شئ أن نقول بأنها كرة أو صندوق أو حتى حذاء.

الملك : (يضحك) لا لا، الأمر ليس كذلك، انظر.. (يفتح الصندوق ويخرج منه نموذجًا للكرة الأرضية) هذا نموذج للأرض التى نعيش عليها، كروية كما ترى، وبما أنها كروية، إذاً فبإمكاننا ان ننطلق من نقطة ثم نعود اليها بالسير فى خط مستقيم، أليس كذلك؟
(القرصان ينظر إلى الكرة باهتمام بالغ..)

الملك : وهذا يعنى أننا إذا سرنا شرقاً فإننا سنصل إلى الهند (يسير بطرف البندقية على الكرة) وإذا سرنا غرباً فإننا سنصل إلى الهند أيضاً (ويسير بطرف البندقية على الكرة من الجهة الأخرى ويقف عند نفس النقطة) هل فهمت؟

(القرصان يتناول الكرة من الملك ويتأمّلها..)

الملك : وسأزوّدك بالخرائط وبكل ما ستحتاج إليه...

(القرصان لم يزل يتأمّل الكرة؛ صامتاً)

الملك : هى مغامرة، والمغامرة سلاحها الجرأة، فالأمر كلّه لا يعدو أن يكون مجرد خوف الإنسان من المجهول، ان استطعت أن تقهر خوفك فستقهر معه خوفنا جميعاً، وستحّول المجهول إلى معلوم.

(القرصان ينظر إلى الملك ولا يجيب..)

لا تتشبث بميراث الخوف، ولا تنظر إلى الوراء، فالماضى مظلم، أنظر إلى الغد كي تولد من جديد وتصنع زمنك على هواك.. جرأتك هي البساط السحرى الذى سيجتاز بك زماننا هذا القديم وستشهد مولد العالم الجديد وستشعر بأن الدنيا كلها (يأخذ منه الكرة) ملك يديك، أيها القرصان، أيها المتوحش الفاضل، غداً، وبفضل صنيعك العظيم، سيصير الإنسان سيداً لهذا العالم..

القرصان : (يرتعد) أيها الملك، كى أستطيع القيام بذلك يجب أن تكون هذه في يدى (مشيراً إلى البندقية).

الملك : (يتردد قليلاً ثم يحسم الأمر) خذها، على أن تعود إلينا بكميات كبيرة منها (يناوله أياها)، لك أن تذهب الآن لتستريح...

(القرصان ينحني ويخرج، الملك يناول الكرة للخادم ويشير إليه بالانصراف... بعد لحظة، يدخل كل من: الملكة وبولونيوس ولايرتس وأوفيليا وهاملت والحاشية...

ينحنون للملك، الملك يخرج العقد من جيبه ويعلّقه فى عنق الملكة العجوز التى تلمع وتبرق وتشع من كثرة الحلى والجواهر التى تغطّيها – بشكل مبالغ فيه.... الجميع يصفّقون فيما عدا هاملت...)

الملك : يا مليكتى، لو أن الذى يجرى فى النهر لم يكن ماءً، لتمنّيت أن يكون ذهباً كى أجعله يجرى بين يديك، ولو كان لى أن أسمّى اللؤلؤ باسم آخر، لأسميته باسم حبيبتى جرترود، تاج قلبى وعرش روحى..

الملكة : أشكرك يا عزيزى كلوديوس، لكننى لا أعرف لم كل هذه الهدايا التى تشغل بها نفسك؟ وما المناسبة؟

الملك : وهل أنا بحاجة إلى مناسبة لكى أهدى إليك ما يدقّه قلبى من جواهر نفيسة إبتهاجاً بإقامتك الدائمة فيه..
(الملكة تضحك منتشية..)

الملك : ياللضحكة الزبرجدية!!

الملكة : (فى قمّة الإنتشاء) مولاى..

الملك : أمرجان أم ياقوت هذا الذى يخرج من ثغرك يا حبيبتى؟

الملكة : كفى أرجوك..

الملك : ها هى زمرُّدة أخرى يدفع بها صوتك إلى مسمعى..

الملكة : كفى بالله عليك يا عزيزى كلوديوس، قلبى لن يحتمل كل هذه البهجة..

الملك : لا، قد أحتمل أى شئ إلاّ هذا، فالمملكة لا تعمل إلا بقلبك يا صغيرتى..

(الجميع ينظرون إلى بعضهم وهم يدارون ضحكاتهم،

أما هاملت فيقف بعيداً عنهم «ظهره لهم ووجهه للجمهور» ويبدو عليه الامتعاض والحزن الشديدان..)

الملكة : مولاى، أستميحك فى أن تأذن لى بالإنصراف لأن موعد تعاطى الدواء قد حان..

الملك : لست أدرى ما الذى سأفعله بعد أن تأوى الشمس إلى فراشها، إلا أن عزائى هو أنها ستعود إلىّ غداً بالصباح الجديد.

الملكة : أشكرك يا مولاى ومعذرة..

الملك : لك ما شئتِ..

(الملكة تنحنى، وتخرج.. هاملت يتنفس الصعداء..)

الملك : (فجأة) أوفيليا!!، أأنت هنا؟!..

أوفيليا : نعم يا مولاى، ولكن كيف لمثلى أن تراها العين وشمس مليكتنا تخطف الأبصار..

الملك : لا لا، لا يجب أن تحطّى من قدر نفسك إلى هذا الحد، فلكل امرأة شمسها الخاصة بها، أليس كذلك يا بولونيوس؟

بولونيوس : صدقت يا مولاى، لكن شموس نساء الأرض أجمعين أينما سطعت فإنها حتماً ستغرق فى ضياء شمس مليكتنا العزيزة..

الملك : (ضاحكا) لكن لإبنتك شمس لا تضاهيها شمس أخرى، فهنيئاً لك بها.

بولونيوس : خليق بك يا أوفيليا أن تزّينى وجهك بهذه الإشراقة التى أضفاها عليك مليكنا الكريم..

(تنظر أوفيليا إلى هاملت – الذى يبدو عليه الضيق – فرحة..)

أوفـيليـا : (متألقة) مولاى، رأفة بى فأنا لم أزل صغيرة على هذا الضوء الذى تغمرنى به جلالتك..

المـلـك : (يضحك منتشياً) بل هو ضوؤك وقد رُدَّ اليك يا جميلتى..

اوفـيليـا : عفواً يا مولاى..

(بولونيوس ولايرتس يبدوان سعيدين، بينما هاملت يبدو عليه الحنق الشديد، أوفيليا تلحظ ذلك فتزداد فرحا وانتشاءً..)

المـلـك : وأنت يا هاملت، ما رأيك فيما قلت؟

هـامـلـت : أى قول يا سيدى؟

المـلـك : ألم تكن تسمعنا؟

هـامـلـت : يبدو أننى انصرفت إلى شئونى الخاصة مرغماً، فمعذرة..

المـلـك : يبدو أن رحيل أبيك لم يزل ينال منك، ولكن يا بنى، هذه سنة الحياة..

هـامـلـت : نعم يا سيدى..

المـلـك : أرجو أن تخلع عنك هذا الليل الدائم الذي ترتديه..

هـامـلـت : ليتنى أستطيع..

المـلـك : تستطيع إن أردت..

هـامـلـت : سأحاول ..

المـلـك : هذا وعد طيب منك، خاصة أننى أكره الليل..

هـامـلـت : سأحاول أن أجعلها تغير عاداتها وتأتى إلى القصر وتقيم فيه إلى الأبد..

الملك : من؟!
هاملت : الشمس يا سيدى...
(هاملت ينحنى لهم، ويخرج... الجميع ينظرون إليه مدهوشين...)

المشهد الثالث

(يدخل هوراشيو ومرسلس وبرناردو من اليسار ويدخل هاملت من اليمين...)
ثلاثتهم : سيدى..
هاملت : هوراشيو برناردو، مرسلس، مرحباً بكم ..
هوراشيو : حمداً لله أنك بخير يا سيدى..
هاملت : أنا بخير، إطمئنوا، وسأظل كذلك طالما أن دم أبى لم يزل ساخناً فى رأسى..
ثلاثتهم : أبوك...
هاملت : نعم، أم ترونى نسيت..
مرسلس : عليك أن تذكر أباك ولكن..
هاملت : ماذا؟ ... أن أنسى أنه قتل..؟
هوراشيو : وما فائدة ان تذكر شيئًا كهذا وأنت تعلم أن عمك اقتص له بقتل الحارسين؟
هاملت : (يضحك بمرارة)

هوراشيو : ما الذى يضحكك يا سيدى؟

هاملت : بالأمس حلمت أنكما، أنت ومرسلس، قتلتمانى..

ثلاثيهم : ماذا......؟!!

هاملت : كنت نائما، وكنتما تقفان فى الخارج بجوار باب الغرفة لتحرسانى من الاحلام المزعجة التى قد تفسد علىّ نومى، فإذا بكما تقتحمان الغرفة وتنتزعان خنجر يكما وتنهالان علىّ بهما طعناً..

كلاهما : نحن يا مولاى؟..

هاملت : هذا ما رأيته فى الحلم..

مرسلس : فى الحلم، نعم، فى الحلم.. نحمد الله أنه كان حلمًا، مجرد حلم..

هاملت: والآن ما الذى دفعكما إلى ارتكاب جريمة كتلك؟

كلاهما : (ينظران إلى بعضهما فى دهشة) أية جريمة ياسيدى...؟!

هاملت : تلك التى إرتكبتماها فى الحلم..

مرسلس : فى الحلم، نعم، فى الحلم.. يا سيدى نحن ننتمى لعالم الواقع لا لعالم الحلم فكيف لنا أن نعرف بما يحدث هناك..

هاملت : ماذا؟. نعم نعم، أقصد ما الذى يمكن أن يدفعكما إلى قتلى ــ هذا إن خطر لكما أن تقتلانى..؟

(هوراشيو ومرسلس يزدردان ريقهما..)

هوراشيو : لاشئ يا سيدى..

هاملت : أتعنى أنكما قد تقتلانى بالفعل هكذا، دونما سبب؟

هوراشيو : لا لم نقصد يا سيدى، بل قصدنا أننا لن نفعل ذلك أبداً..

هاملت : لماذا؟

هوراشيو : لأننا نحبك يا سيدى وأظن أنك لا تشك فى ولائنا لك..

هاملت : (لحظة صمت) ثم ماذا أيضاً؟

(ينظران إلى بعضهما حائرين)

هاملت : تكلم ياهوراشيو، ما الذى يحول بينكما وبين قتلى؟

هوراشيو : أظن يا سيدى انه لا يوجد لدينا سبب على الإطلاق لارتكاب جريمة كتلك..

هاملت : إذاً يجب أن يكون هناك سبب، أى سبب؟

هوراشيو : لا، ليس أى سبب، فإذا افترضنا ـ وهو مجرد فرض ـ اننا جرؤنا على ارتكاب حماقة كتلك، فأعتقد ان السبب يجب أن يكون من القوة بحيث يمتلك علينا إرادتنا تماماً..

هاملت : وماذا يمكن أن تكون طبيعة هذا السبب القوى؟، جرعات كثيرة من الخمر مثلاً، تلعب برأسيكما فـ ...

هوراشيو : لا لا، الخمر لا يذهب بالرأس إلى الحد الذى يفقد معه شاربه كل ماالديه من عقل، وإن حدث ـ وكان الخمر هو الدافع للجريمة ـ فلا شك أن ارتكابها سيندرج تحت ما يسمى بالقتل الخطأ..

هاملت : ماذا تقصد بالقتل الخطأ؟

هوراشيو : القتل الخطأ هو الذى يكون عشوائياً وغير مقصود، ولا شك أن له مظاهره التى لا تخفى على كل ذى فطنه،

أمّا القتل العمد فيختلف فى طبيعته من حيث كمّ الطعنات وحجم الإصابة ومكانها وغير ذلك..

هاملت : إذن انتبهوا أيها السادة لما سأقول، لقد قرأت التقرير الذى كتبه الأطباء عن جريمة قتل الملك وقد جاء، به ما يلى: «لقد قُتل الملك بعشرين طعنة تكفى الواحدة منها لقتل عشرة رجال، هذا وقد هشّم القاتل رأس الملك بتسع طعنات، وقفصه الصدرى بخمس طعنات، ولقلبه ثلاث، وإثنتان لأحشائه، وواحدة لعنقه..»، أيعقل أن يكون ما دفع الحارسين لقتل الملك ـ على النحو الذى وصفت ـ مجرد السكر كما أشاعوا؟...

(ينظرون إلى بعضهم مدهوشين ..)

وكما تعلمون فإن الحراس عادة ـ وبموجب القانون ـ لا يفرطون فى تعاطى الخمر أثناء نوبة الحراسة، وإذا كان هذا قد حدث ـ وهو إفتراض محض ـ فلابد أن يكون احد ما قد دسّ لهما عقاراً فى الخمر مما أودى بعقليهما، أليس كذلك؟، والآن، من الذى دسّ العقار فى الخمر للحارسين؟، كى نستطيع أن نصل إلى إجابة مقنعة لابد أن نبحث عن السبب القوى الذى قد يدفع بالمرء إلى قتل ملك، هيا، إعملوا عقولكم..

(لحظة صمت ماشوبة بالتوتر والترقب)

سأسهّل عليكم الأمر، برناردو.. تعال، إجلس هنا (برناردو يتقدم ويجلس على الأرض) وأنتما قفا هنا قبالته (هوراشيو ومرسلس يقفان أمام برناردو، على مسافة

مناسبة) ها هو الملك نائمًا فى فراشه أو جالسًا على عرشه، لايهم، فالملك ملك أينما كان، وها أنتما تفكران فى قتله.. والآن، لماذا انتويتما قتل الملك؟، ما الغاية التى ترميان إليها من وراء فعل كهذا؟.. المال؟، لا أظن، لأن الملك لا يحمل مالاً.. التاج؟!، ربما.. إنظرا، انظرا.. أليس للسلطة التى ينطوى عليها هذا التاج ما قد يغرى المرء بمحاولة امتلاكه كيما يتثنىّ له امتلاك تلك السلطة ليصعد بها درج المجد ويجلس فوق رؤس العباد، انظرا جيداً، أليس له بريقاً يبعث الوفء فى النفس ويدفع الدم إلى الرأس واليدين إلى الخنجر والخنجر إلى الملك والملك إلى الموت؟..، إنكما تريدان امتلاك التاج ولا يوجد سبب ـ يدفعكما إلى قتل الملك ـ أكثر قوة من هذا التاج، أليس كذلك؟، أجب يا هوراشيو..

هوراشيو : نعم، نعم يا سيدى، لاشك، لاشك أن هذا، يمكن ان يكون دافعاً معقولاً للـ.. ولكن...

هاملت : ولكن ماذا؟

هوراشيو : لا يمكن للحارسين أن يفكرا من تلقاء نفسيهما هكذا فى قتل الملك، لأنهما ـ يقيناً ـ لن يجنيا شيئاً من جريمة كهذه سوى موتهما...

هاملت : ها أنت بدأت تفهم ما أعنيه، إسترسل فى القول..

هوراشيو : أعنى أنه ـ والأمر كذلك ـ لابد أن يكون وراءهما شخص ما ذو نفوذ لا يحد ومطامع ومطامح....

هـامـلـت : وبما أن الملك قد قتل، إذن فالتاج هو دليل الإدانة، أعنى أن القاتل أودى بحياة الملك كى يسرق التاج، أليس كذلك؟

هوراشيـو : نعم ولكن...

هـامـلـت : ولكن ماذا؟، لقد أبى القاتل إلا أن يعلن عن جريمته لكل ذى عين مبصرة، وها هو يرتدى التاج دون أن يستحى...

هوراشيـو : أتقصد أن....

هـامـلـت: قتل أبى، وسرق تاجه وامرأته....

هوراشيـو : الملك ؟!

هـامـلـت : عمّى ... وقتله الحارسين فور اكتشاف الجريمة، لا يعقل أن يكون مبعثه الغضب والثورة عليهما كما اشاع.. الأكثر عقلاً من هذا هو أن نقول بأن عمّى كان قد قرّر قتلهما قبل أن يستجوبهما أحد، لأن الإستجواب كان سيدور حتما حول البحث عن تلك الشخصية ذات النفوذ الذى لا يحد... قتلهما عمّى لأنه أراد لهما أن يصمتا إلى الأبد، ومن ثم تدفن الجريمة مع الجثة إلى الأبد، إن عقلي كيفما سار أو اتجه يأبى أن يتراجع عن اتهام هذا الرجل...

(ينظرون إليه صامتين واجمين..)

هوراشيـو : وما الذى انتويت أن تفعله يا سيدى؟

هـامـلـت : وهل هناك ما يمكن لى أن أفعله غير الانتقام..

هوراشيـو : ستقتله؟!

(هاملت يستل سيفه وينظر إليه ملياً....)

هوراشيــو : سيدى .... قد يكون ما قلت صحيحاً تماما، لكننى ـ لو اذنت لى ـ أنصحك بالتروّى ، يجب أن تتأكد قبل أن تقدم على فعل كهذا...

هـاملـت : سأفعل..

هوراشيــو : كيف؟ ،

هـاملـت : سأمثّل الجنون...

هوراشيــو : الجنون؟!

هـاملـت : كى تفعل ما تريد دون أن يعترض سبيلك أحد، عليك أن تكون ملكا أو مجنوناً.. ومادام عمّى يلعب دور الملك، إذن سألعب دور المجنون، ولا خيار لى، وسأعرف كيف إستثمر تلك الحرية التى سأنتزعها منهم، سأنفلت من قبضتهم لأوقعهم فى قبضتى ....

المشهد الرابع

(بولونيوس ولايرتس......)

بولونيــوس : والآن يا بنى، هل ينقصك شئ؟

لايــرتــس : ينقصنى رضاؤك يا أبى ودعاؤك..

بولونيــوس : قلبى معك يا بنى أينما كنت، ولعلّى لست بحاجة لأن أذكّرك بخطورة موقفك من الآن فصاعداً..

لايــرتــس : أى موقف يا أبى؟!

بولونيـــوس : ألا تعرف؟!

لايــرتـــس : لا ...

بولونيـــوس : (يضحك) ظننت أنك تعرف بالحدس، بل إنني لا زلت أعتقد ذلك..

لايــرتـــس : ما الأمر؟!

بولونيـــوس : عليك أن تعد نفسك من الآن لما يمكن أن تصير إليه في المستقبل، فقد ترث مكانة أبيك..

لايــرتـــس : ماذا؟!، هل سأصير وزيراً؟!!

بولونيـــوس : ولم لا..

(تدخل أوفيليا حزينة شاحبة)

بولونيـــوس : تعالى يا ابنتى، تعالى..

أوفـــيليـــا : جئت لأودعك يا لايرتس، هل أعددت حاجياتك؟

لايــرتـــس : نعم، وارسلتها إلى السفينة..

أوفـــيليـــا : صحبتك السلامة..

لايــرتـــس : ماذا بك؟ لست على ما يرام..

بولونيـــوس : نعم، وسأشكوها إليك يالايرتس، منذ يومين وهى تخاصم الطعام والشراب وكذلك النوم والكلام، ولا أعرف سبباً لذلك..

لايــرتـــس : أحقا هذا يا أوفيليا؟!

(أوفيليا لا تجيب وتحوّل عينيها إلى الأرض)

لايــرتـــس : لماذا؟!

أوفـــيليـــا : (لا تجيب..)

لايـــرتـــس : أهكذا، يجب أن أرحل وأنا قلق عليك؟!

بولونيـــوس : لا تحـاول يا بنى، فـقـد أعـيـتنى الحـيلة طيلة اليـومين الماضيين دونما طائل..

لايـــرتـــس : ماذا هناك يا أوفيليا؟!

أوفـــيليـــا : (لا تجيب)

بولونيـــوس : ألن تتكلمى كى يطمئن أخوك قبل رحيله؟

أوفـــيليـــا : ليس لدى ما يقال..

بولونيـــوس : لماذا هذا الحزن والإعراض الذى أنت فيه إذن؟

أوفـــيليـــا : (لا تجيب)

لايـــرتـــس : اظنّه هاملت....

أوفـــيليـــا : (لا تجيب وتحوّل عينيها إلى الأرض)

بولونيـــوس : أه.....، لقد خمّنت ذلك..

لايـــرتـــس : اوفيليا، ابى أقدر مشاعرك تمامًا، ولكنك لازلت صغيرة ولا تدركين من هاملت غير ما يبدو عليه من مظهر رائع تنخدع له قلوب العذراى، أمّا حقيقته فشئ آخر، إنه كئيب، يحمل بداخله غابة حزن أسود، ترعى فيها وحوش الوحدة وجعارين الهم، وليله بلانهاية يودع سم الانطفاء للنجوم، حتى ليخّيل إلىّ أن تلك الشهب التى تمرق فى سمائنا إن هى إلأهاربة من عالمه ذاك الموحش المعادى للمرح.. أختاه، أيجب أن تعلّقى وردتك الجميلة فى عروة رجل ميت؟!

(يبدو على أوفيليا الضيق الشديد ولكنها تصمت وتخفض عينيها)

بولونيـــوس: أحسنت يا بنى، ثم إنه متقلّب الأهواء كموج البحر، بل أن موجة منه هى بحر خاص بنفسه، أمواجه عارمة ولاحد لأهوائهـا، وكم أخشى عليك يا ابنتى من جـمـوحـه وشططه ونزواته الطائشة...

لايـــرتــس : ثم إنه يبدو لى أن عين الملك منك يا أوفيليا..

أوفـــيليــا : (ثائرة) ماذا تعنى؟!!

بولونيـــوس : الملكة امرأة عجوز، وغداً أو بعد غد لن تشرق عليها الشمس ثانية، أمّا الملك فلم يزل بموفور صحة وعلى هاملت أن ينتظر ويظل ينتظر حتى يؤول إليه العرش، حينئذ سيكون أبناؤك من الملك قد صاروا رجالاً يعتدّ بهم..

أوفـــيليــا : (منزعجة بشدة وتكا أن تبكى) ماذا تقول يا أبى؟!

لايـــرتــس : ألا ترغبين فى أن يصير أخوك وزيراً يا أوفيليا؟

أوفـــيليــا : وما شأن هذا بذاك؟!

بولونيـــوس : حقـاً إن الملك هو الذى يرتدى التـاج، لكن زوجتـه الصغيرة الجميلة هى التى تحكم وتصدر الأمر..

(أوفيليا تنظر إليهما بانفعال بالغ، لكنها تخفض عينيها، صامتة..)

بولونيـــوس : والآن، ما عليك الاّ أن تدعى هاملت هذا وشأنه، إعراض عن رسائله ولا تمثلى بين يديه، إقطعى كل مالَك من صلة به، والأهم من هذا كله، هو أن عليك من الآن فصاعداً ان تلتصقى بالملك، كظله، كتاجه، كعرشه،

ككونه ملك، حتى يملأ بك كأس حياته الذى أفرغته العجوز المتصابية.. أتفهمين..؟ حاولى إقناعه بأن لا بديل له عن جنّتك، إشعريه بأنه لو أراد أن يسمّى الهواء باسم آخر، فإن اسم أوفيليا هو وحده الأجدر والأحق، افهمتى؟

أوفيليا : (لا تجيب).

بولونيوس : هيا يا بنى، لقد حان الوقت، سأصحبك إلى السفينة.

لايرتس : وداعاً يا أختاه، سأراك على خير..

(يخرج بولونيوس ولا يرتس وتبقى أوفيليا بمفردها..).

أوفيليا : (تبكى) كلهم يريدون مالهم فقط ولا يعنيهم أمر قلبى.. (تبكى) لو يعلمون بأن أوفيليا لا تريد ملكاً على عرش، أبى، أريد ملكا على قلبى... (تبكى) أه يا هاملت، (تتحدث إليه كأنه أمامها) الآن تخون قلبى، الآن تعذّبنى، وتزف الىّ من جرحك عاصفة مميتة، وتنزفنى كأننى الصديد... ماذا جرى؟ ماذا جرى؟!، ماذا تظن بى؟!، لو يعلم الملك بأننى ما استجبت له فى الحديث سوى لإثارة غيرتك، لقطع رأسينا رداً لشرف المملكة.. كنت أريد أن اعرف الازلت تحبنى. الازلت أحكم قبضتى على مملكة قلبك، أم أن زمنى أتت عليه عواصفك العمياء.. بم تنظر الىّ هكذا؟! أتشك فى عفتى؟!، عفّتى كبريائى الذى أزنه بحبك لى، فلا تتركنى، لا تتركنى يا هاملت كى لا أفقد عفّتى أمام وباء العهر المتفشى فى القصر..

المشهد الخامس

(ضوء قمرى شاحب، هاملت يدخل من مؤخرة المسرح.....)

هاملت : (يصيح) إطفئوا القمر، إطفئوا القمر، كى أنام قليلاً... أما من نهاية لهذا الرخام الذى يهبّ علىّ؟!، لو يتاح لى ترميم روحى.. ويلى!، ماذا فعلت بنفسى؟، كيف أذنت للعواصف ان تسكننى وتدفع تاج العذاب إلى رأسى ثمناً؟!!، كيف؟!كيف؟! الا يستطيع الحراس أن يسدّوا الطريق على هذا الخوف الذى يقتحم علىّ قصرى؟!.. ماذا جرى؟.. هل صعدت إلى السماء وعانيت ما عانيت كى أسرق الليل؟!، ايها الليل، يا أيها الليل متى يكف عنّى نشيدك المظلم هذا؟لو أنام، لو أنام قليلاً.. أين البكاء؟.. فيما مضى كانت الورود تنمو فى عينىء حين أبكى، لو أبكى، ليتنى أبكى... حتى الهواء يأبى أن يدخل إلى صدرى، ينتحر امامى ولا يدخل صدرى ... !
... كم نجمة عذبتها؟!، أين الملكة؟ (صائحاً) :
ـ أتتعفّنين الآن فى الفراش؟!..
هى امرأة تتعفن فى الفراش... أدق الباب، وتسألنى:
ـ من؟ من أنت؟

أقول ـ مليكتى، افتحى الباب، افتحى.. كى أدخل فى الغياب، افتحى، افتحى ذراعيك وادفنينى فى التراب...
(ينفض ملابسه).. ماكل هذا التراب؟.، أُف.. ... من أين لى بهذا التراب؟..
ألا تستحمى أبداً؟
ويحك!!
أرجوك استحمى، كى يزول عن يديك هذا الدم...
وها أنا أتقدم الى آخرى، تدحرجنى العواصف إلى آخرى.. الى آخرى... فهل سأجد متسعاً فى السراب؟، من يفهم حزنى؟... من يطفىء القمر كى أنام قليلاً، وأستقبل الملائكة التى خنتها يوم قتلت أخى دون أن أصغى لصراخ الرحم الذى جمعنى به يومًا ما...
(صائحاً) يا حراس، يا حراس... إطفئوا القمر، إطفئوا القمر... كى أموت قليلاً...
(من الظلام يأتى صوت تصفيق حاد، يضاء المسرح، فنرى هوراشيو ومرسلس وبرناردو، يصفقون وهم يقتربون من هاملت..)

هاملت : ما رأيكم؟

مرسلس : أحسنت يا سيدى...

برناردو : أكثر من رائع..

مرسلس : والله لولا أنك الأمير بن الملك، لجرؤت وتوسّلت إليك أن تعمل بمهنة المسرح..

هـامـلـت : إلى هذا الحد؟!

مـرسلس : بل وأكثر..

هـامـلـت : وانت يا هوراشيو، ما رأيك؟

هوراشيـو : عظيم يا سيدى، ولكن ـ لو أذنت لى، وأعتقد أن الصداقة التى بيننا ستشفع لى عندك، إذا ما تجاوزت حدّى...

هـامـلـت : قل ما شئت يا صديقى..

هوراشيـو : ماذا فعلت إنتقاماً لأبيك كما كنت قد قررت من قبل؟

هـامـلـت : ماذا؟!، ألا ترى ما أفعل؟!!

هوراشيـو : لست أفهم..

هـامـلـت : الذى فعلته امامكم الآن، أليس له معنى عندك؟!

هوراشيـو : له معنى بالطبع، لكنه ـ لو أذنت لى ـ لا يخرج عن اللهو..

هـامـلـت : لهو!!، أتسمّى ما أفعله لهواً؟!

هوراشيـو : معذرة يا سيدى إن كنت قد...

هـامـلـت : انا لا ألهو يا هوراشيو، بل إن حياتى كلها لم تعرف اللهو قط..

هوراشيـو : أعرف يا سيدى ولكننى ـ ولك أن تعذرنى ـ لا أفهم..

هـامـلـت : (مقاطعًا بحّدة) هل يستطيع احدكما أن يحدثه عن معنى ما قدمته الآن؟

(مرسلس وبرناردو ينظران إلى بعضها مرتبكين..).

مـــرسلس : برناردو سيتكلّم..

بـــرنـــاردو : لا يا سيدى، بل مرسلس، فقد كان يعلّق كثيراً على ما تقول أثناء التمثيل.. (مرسلس ينظر إلى برناردو متوعداً، برناردو يوارى ضحكته..)

هـــامـــلـــت : هيا يا مرسلس، تكلّم..

مـــرسلس : سأتكلّم يا سيدى على ألاّ تؤآخذنى إن أخطأت..

هـــامـــلـــت : سأفعل..

مـــرسلس : أعتقد ـ والله أعلم ـ أنك يا سيدى كنت تشرّح جثة عمّك (مستدركا) أقصد شخصية عمّك بعد أن صعد إلى العرش على جثة أخيه ومعاناته إذ يلتقى بجريمته الحمقاء على السرير فى الليل وجهاً لوجه..

هـــامـــلـــت : تقصد أمى..

مـــرسلس : لا، لا والله، بل أقصد الجريمة التى ارتكبها فعلا..

هـــامـــلـــت : عموماً لا فرق، فالجريمة والمرأة شىء واحد، هيا، استمر..

مـــرسلس : لم يعد لدىّ ما أستمر فيه يا سيدى..

هـــامـــلـــت : وانت يا برناردو، أليس لديك ما تقول ؟

بـــرنـــاردوا : حقيقة انا معجب جداً بصيحة الملك «إطفئوا القمر كى أنام قليلاً»، ذلك أن ضوء القمر مقترن هنا بعذاب الملك، وكأن هذا الضوء القمرى هو ما يستدل به الخوف والرخام والعواصف وأناشيد الليل الكريهة على

مكان الملك، ولاشك أن ضوء القمر هنا هو تجسيد واضح لضمير الملك ذاته..

هاملت : أحسنت..

برناردو : شكراً يا سيدى..

هاملت : والآن يا هوراشيو، ألم تزل ترانى ألهو.

هوراشيو : ليس هذا ما قصدت إليه يا سيدى، وأعتقد بأن المعنى الذى تحدث عنه مرسلس وكذلك برناردو واضح بما فيه الكفاية، ولكننى قصدت أن اسأل عن «جدوى» لا عن «معنى» ما تفعل، لاسيما وأنك قدّمت معاناة عمك لى على نحو اضطرّنى للتعاطف معه ـ هذا على الرغم من كونه قاتل ابيك!!..

هاملت : نعم نعم.. اضطرارك للتعاطف معه مبعثه أننى لم أشأ أن أقدمه فى صورة مقزّزة، كما يفعل غيرى من الكتاب حين يتناولون الشخصيات الشريرة إذ يفرغونها من فحواها الانسانى تماماً ويحشونها بالتجريد الشديد ويودعون فيها كل ما يخيف الانسان وينفّره منها.. هكذا. مما ادى الى جعل «الشر» ذاته يبدو فعلاً غامضا، سحريا، كأن الذى يأتيه ليس بإنسان من لحم ودم مثلنا بل شيطان مارق قُدَّ من نار أو ما شابه ذلك!!، حتى ليخيّل الىّ ان هؤلاء الكتّاب لازالوا يؤمنون بأن الشياطين والعفاريت والارواح الشريرة انما تقتسم معنا الحياة على هذه الأرض، وهذا وهم أردت ألا اسقط فيه.. لذا تناولت الشرير بوصفه

إنسانا قبل كل شي، وحاولت ان اقترب من الشر كى اضع يدى على كنهه..

هوراشيو : وهل حقاً يعانى من وخز الضمير أم أنت الذى أردت له أن يعانى.

هاملت : عقيدتى هى أن عمّى يعانى تماماً كما أردت له أن يعانى، ذلك لأنه أنسان قبل كل شيء، ولن أقبل فصالاً فى عقيدتى هذه وإلا سأبدو كمروجى الإشاعات عن الجنس البشرى، والحقيقة أن مشكلتى مع منولوج عمّى ـ هذا الذى يشى بمعاناته بعد واقعة القتل ـ هى أننى لا أعرف بالضبط كيف أضعه فى سياق المسرحية التى تدور فى زمن ما قبل القتل ـ أعنى تلك التى أكتبها الآن. وعلى الرغم مما لدى من مبررات درامية تحتم علىّ إلغائه، إلا أننى ـ وليتنى أعرف لماذا ـ لا أقوى على إلغائه...

هوراشيو : سيدى، أنا لا تعنينى الدراما، فهذا امر يخصك، وما يعنينى حقيقة هو كيف تأكد لك أن عمّك يعانى فعلاً من وخز الضمير؟

هاملت : ما لا تعرفه يا هوراشيو هو أننى حين أتحدث إلى الناس، أكتشف نفسى، وحين اتحدث إلى نفسى، أكتشف الناس؛ لاسيما حين أكتب... يحضرالناس إلى أوراقى عراة، يحملون خطاياهم وأوزارهم، وبامنعونها أمامى ويبكون كثيراً... ودائماً ينفتح قلبى لهم..

هوراشيو : حتى القتلة يا سيدى؟..

المشهد السادس

(تدخل أوفيليا مذعورة، تنادى....)

أوفيليا : أبى.. أبى.. أبى... أبى... أبى.....!!

(يدخل بولونيوس....)

بولونيوس : ماذا جرى يا ابنتى؟!!

أوفيليا : (تبكى) أبى....!!

بولونيوس : ماذا جرى؟!!

(اوفليليا تستغرق فى البكاء ولا تستطيع الكلام..)

بولونيوس : اهدئى، اهدئى يا ابنتى واخبرينى ما الأمر..

أوفيليا : (من خلال دموعها) كنت فى غرفتى منهمكة فى الخياطة، وإذا بالأمير هاملت يدخل علىّ ويتجه إلى المائدة ويصعد إليها ويجلس القرفصاء، وظل يبحلّق فىّ.. استجمعت شجاعتى وسألته: «اتريد شيئاً يا سيدى؟»، هبط من فوق المائدة وعيناه علىّ وأمسكنى من يدى وقادنى بعيدا عن المقعد وظل يدور حولى وهو يتفحّص جسدى... ثم توقّف وسألنى: «بكم؟»، قلت مرتعبة: «ماذا تقصد يا سيدى»، قال: أريد ليلة واحدة..»، ثم تركنى وغادر الغرفة وعاد مسرعا متجرداً من سترته وجلس على المقعد وكان يلهث، وقال: «معذرة، معذرة.. فأنا لم

أعتد من قبل على التعامل.مع.. وعموماً فاللغة لا تطاوعني دائماً لأنهم يملأونها بالحمير..»، ثم نهض وغادر الغرفة وعاد مسرعاً دون حذائه وكان يسير على أطراف أصابعه وسبابته على فمه مشيراً اليّ بالصمت، وقال هامسا ـ وهو يشير الى قدميه ـ : «لقد تخلّصت من الحمير، ألن تتخلّصي أنت أيضاً من الحمير؟»، ثم همّ بـ.....

بولونيـــوس : همّ بماذا ....؟!

اوفـــيليـــا : بـ .... (تشير إلى خلع الملابس السفلية..).

بولونيـــوس : (مذعوراً) ماذا ؟!!

اوفـــيليـــا: بنطلونه هو... فندت عنّي صرخة مدوّية» فرّ على أثرها هارباً...

بولونيـــوس : هذا هو جنون العشق بعينه ـ وقد يدفعه إلى محاولات أكثر يأساً. إني آسف له، إخبريني، هل تعاملتِ معه بقسوة؟

اوفـــيليـــا : لا، لكنني إطاعة لأمرك صددت عنّي رسائله ورفضت مجيئه إليّ..

بولونيـــوس : لقد جن لذلك.. يؤسفني أنني لم أرقبه بحكمة، سأذهب إلى الملك لأطلعه على الأمر...

المشهد السابع

(الملك والملكة يدخلان وهما يضحكان...)

الملك : أراك اليوم ناضرة كحديقة تزهر في دمى...

الملكة : (بخجل مصطنع) مولاى!!

الملك : ورود الخجل التى تكسو وجهك تغرى يداى بقطفها..

الملكة : (بدلال) ستفرمن يديك فلا تحاول..

الملك : أعلم إنها غزلان من هواء..

الملكة : (تضحك منتشية...).

الملك : إعزفى.. إعزفى....

الملكة : (تستغرق فى ضحك صاخب...)

الملك : .سمّمى الهواء.... عجّلى بشيخوختى.. (ينظر إليها بقرف وسخرية، وهى لم تزل تضحك..) يا للنهيق... كفى، كفى نباحاً فى روحى... يا اصطكاك الخناجر بجثة أخى...!!

الملكة : (وهى لم تزل تضحك) أى ملاك هذا الذى يمدُّك بهذا الكلام!!

الملك : ليس ملاكاً، بل مليكة حلوة...

الملكة : مولاى...

(يدخل جلدنسترن..)

جلدنسترن : مولاى...

الملك : تعال يا جلدنسترن.. ماذا وراءك؟

جلدنسترن : مولاى، جئت لأخبركم بأمر رأيت أن من واجبى اطلاعكم عليه..

الملك : وما هذا الأمر؟

جلدنسترن : أمر غريب يا مولاى، ولولا أن ما رأيته رآه غيرى من الحراس، ما جرؤت على البوح به أبداً..

الملك : تكلّم..

جلدنسترن : ليلة أمس، بينما كنت أمر على الحراس لأباشر عملى، رأيت الأمير هاملت يسير فى ممرات القصر...
(لحظة صمت ينتظر خلالها الملك من جلدنسترن أن يسترسل فى الكلام، لكنه يصمت ويبدو مرتبكاً..)

الملك : أهذا هو الأمر الغريب الذى جئت من أجله..؟

جلدنسترن : لا يا مولاى لكننى.. لو أذنت لى ـ أخشى ألاّ أجيد التعبير..

الملك : قل ما شئت..

جلدنسترن : بالأمس يا مولاى رأيت الأمير هاملت يسير وكان، كان يا مولاى..

الملك : كان ماذا؟!

جلدنسترن : كان...

الملك : (بحدّة) تكلّم..!!

جلدنسترن: كان عارياً... وكان يبكى...

(الملك والملكة ينظران إليه باندهاش شديد..)

كلاهما : عارياً؟!! .. ابنى!!

جلدنسترن : نعم، وهناك حراس آخرون رأوا نفس ما رأيت..

الملكة : وهل رأيت مؤخّرته؟

جلدنسترن : ماذا ؟!!

الملك : أين كان ذلك؟

جلدنسترن : فى الجناح الأيسر من القصر حيث يقيم..

الملك : شكراً لك، وكف فمك عن مؤخّرة الأمير...

جلدنسترن : ....

الملك : إذهب...

(وبينما جلدنسترن فى طريقه للخروج، يصطدم ببولونيوس ـ وهو يدخل على عجل..)

بولونيوس : لعنة الله عليك!!

جلدنسترن : معذرة يا سيدى..

بولونيوس : هيا هيا، إذهب، إذهب...

(جلدنسترن يخرج، ويتقدم بولونيوس إلى الملك والملكة..)

بولونيوس : (ينحنى) مولاى، مولاتى.. جئت لأشكو إليكم أميرنا هاملت..

(الملك والملكة ينظران إلى بعضهما..)

الملـــك : ماذا؟

بولونيـــوس : والله يا مولاى برغم سنّى هذه وكل ما استقيته من خبرة وحكمة إلاّ اننى لا أدرى من أين أبدأ...

الملـــك : دعك من المقدمات..

بولونيـــوس : أخبرتنى ابنتى بما فعله معها، ولولا أنها ابنتى، ولولا أُننى قمت بتربيتها بنفسى، والله ما كنت صّدقت كلمة واحدة مما ألقته على مسمعى..

(الملك والملكة يبدو عليهما التوتر الشديد..)

الملـكـة : إختصر يا وزير...

بولونيـــوس : مولاتى، قالت لى ابنتى أنها بينما كانت منهمكة فى الخياطة فى غرفتها، فإذا بالأمير يدخل عليها ويدعوها لأن تقضى معه ليلة حمراء مدفوعة الأجر!! ، ثم راح يتجرد من ملابسه أمامها وطلب منها أن تجاريه فيما يفعل؟! ولولا أن صاحت به ـ دفاعاً عن شرفها وشرف أبيها..ما فر هارباًمن غرفتها..

الملـكـة : (متألمة) هاملت؟!

الملـــك : ماذا جرى له؟!

بولونيـــوس : مولاى، هذه الأفعال ـ فيما أعلم ـ لا يأتيها غير المجانين..

الملك والملكة : ماذا؟!

الملـــك : هل فقد عقله؟!

الملكة : قد يكون بحاجة لزوجة..

بولونيوس : ربما يا مولاتى..

الملكة : إذن فلنبت فى الأمر..

بولونيوس : نعم يامولاتى، ولكن من عساها أن تكون تلك الفتاة التى تليق بمكانة أميرنا الشاب؟

الملكة : أوفيليا، خاصة أنهما يبادلان بعضهما الحب منذ زمن طويل..

بولونيوس : مولاتى، أخشى أن ما سأقوله قد يسيئك كما ساءنى من قبل..

الملكة : ماذا تريد أن تقول؟

بولونيوس : مولاتى.. جلالتك تعرفين لا ريب أن السن سلطان مستبد يحكم علينا دون أن نملك له دفعاً..

الملكة : (متوترة) اختصر..

بولونيوس : سأختصر يا مولاتى، ولكن مهلاً.. لقد أسرّت الىّ ابنتى بأنها لم يعد ـ ومعذرة يا مولاتى فيما سأقول فلقد ساءنى كثيراً، ولكننى أريد أن أقول بأنها لم يعد بها ميل لسمو الأمير..

الملكة : (بكبرياء ملكى) ماذا؟!، ابنتك ترفض الزواج من ابنى الأمير؟!

بولونيوس : مولاتى هدئى من روعك فهذا شأن قلبها ولا حيلة لنا فيه، ولقد حاولت معها كثيراً وبذلت كل ما بإستطاعتى،

حتى أخوها لا يرتس، أعيته المحاولة هو الآخر، لكن دون جدوى، فهى لم تزل صغيرة.. لكننى عرفت انها لم تعد تهوى من هم فى مثل سنّها..

الملكة : لقد فقدت عقلها إذن؟!، ها؟!، هل يوجد فى الدنيا كلها من يفوق ابنى الأمير؟!

الملك : أرى أن هذا أمر فرعى، وما يجب أن يشغلنا الآن هو سبب ما جرى لهاملت... ولشد ما أخشى أن يكون موت أبيه..

بولونيوس : لا يا مولاى، ليس موت أبيه، بل صد أوفيليا له وامتناعها عن المثول بين يديه وعن تلقى رسائله، وكما تعلم جلالتكم، فأميرنا لم يزل شاباً وعواطفه...

الملك : ربما.. لكننى لا أوافقك تماماً فيما تقول، ويبدو لى أن موت أبيه....

المشهد الثامن

(هاملت بمفرده يعدّ المسرح للعمل... يدخل هوراشيو ومرسلس وبرناردو، يظلون فى أماكنهم يرقبونه... هاملت يلتفت مصادفة فيراهم..)

هاملت : (مبتهجا) أوه...؟! (يتقدم إليهم ويصافحهم) مرحباً بكم...

هوراشيــو : كيف حالك يا سيدى؟

هــامــلــت : الريح تأتى بما أشتهى..

مـــرسلس : جئنا لنودعك أنا وبرناردو..

هــامــلــت : لماذا؟..

مـــرسلس : سنسافر غداً، لنستكمل الدراسة..

هــامــلــت : غداً غداً..؟!

مـــرسلس : نعم..

هــامــلــت : وأنت يا هوراشيو؟

هوراشيــو: سأبقى معك يا سيدى..

هــامــلــت : ودراستك؟

هوراشيــو : سأستكملها فيما بعد.. ماذا تفعل؟

هــامــلــت : كما ترى، أعد المسرح للعمل..

بـــرنـــاردو رائع يا سيدى ولا ينقصه غير الضجيج..

هــامــلــت : لقد أرسلت فى طلبه وسوف يحضر الآن..

بـــرنـــاردو : أرسلت فى طلب من يا سيدى؟!

هــامــلــت : فريق الممثلين الذى سيضج منه الملك..

مـــرسلس : فريق الممثلين؟!، هل أرسلت فى طلبهم حقاً؟

هــامــلــت : نعم، وها أنا أنتظرهم..

هوراشيــو : لم تخبرنا بهذا من قبيل يا سيدى..

هــامــلــت : اردت أن أعد لكم مفاجأة..

هوراشيــو : يا لها من مفاجأة..

هــامــلــت : أنا لا ألهو يا هوراشيو..

(هوراشيو لا يجيب وينكّس رأسه فى الأرض خجلاً..)

هـامـلـت : وان كنت اتظاهر باللهو..

هوراشيـو : نعم، ولكن ـ بوصفى صديقك الحميم ـ أعتقد بأن من حقى أن أفهم..

هـامـلـت : بالطبع....

(هوراشيو ينظر إليه دون أن يتكلّم، بينما هاملت يروح ويجيء مفكراً... ثم يتوقف فجأة..).

هـامـلـت : سمعت أن المجرمين حين يشاهدون اشباههم على المسرح وهم يعانون، فأنهم يشفقون عليهم ويخافون على أنفسهم من أن يلاقوا نفس المصير.. هنا تضطرب نفوسهم أشد الإضطراب، ويعترفون بما ارتكبوا من جرائم... هذا بالضبط ما أريد أن أفعله مع عمّى، سأجعل الممثلين يمثلون شيئاً يشبه مقتل أبى، وحينئذاً سأرقب ملامح وجهه، فلو بدرت منه ولو رعدة واحدة، تأكدت من صحة ما توصلت إليه بعقلى.. لا بد أن تقوم إدانتى له على أدلة واضحة لا يتطرّق إليها الشك، والمسرحية هى الوسيلة التى سأقبض بها على ضمير الملك...

(يدخل الحارس)

الحـارس : سيدى، الممثلون بالخارج ويطلبون الإذن بالدخول..

هـامـلـت : دعهم يدخلون..

الحـارس : (لمن بالخارج) تفضلوا، تفضلوا...

(يدخل الممثلون، أربعة رجال وامرأة واحدة... يتقدم هاملت لاستقبالهم مبتهجا).

هاملت : مرحباً بأقنعتى الجميلة، أهلا أهلا، مرحبا يا سادة..
(يصافحهم....).

الممثلون : أهلاً بك يا سيدى، أهلاً بك، الحمدلله أنك بخير يا سيدى...

هاملت : (للممثل العجوز) يا رجل يا عجوز، الأزلت تلعب دور الملك؟

م.العجوز : نعم يا سيدى، هو دورى الذى لا ألعب غيره، (مشيراً إلى الممثلة) وكذلك زوجتى..

هاملت : مليكتى (ينحنى ويقبِّل يدها بحركة استعراضية) مرحباً بك فى قصرك يا مولاتى..
(يضحكون....)

هاملت : مولاى، متى ستتخلّى عن العرش؟

م العجوز : حين تتخلى عنّى روحى..

هاملت : ستتخلّى عنك فى هذا القصر وبإيعاز من هذا الرجل (مشيراً الى ممثل أمير الجيوش).

م العجوز : اه يا امير الجيوش يا لعين يا صفيق، سأعزلك من منصبك والقى بك إلى الجماهير الضارية..
(يضحكون...)

هاملت : متى يا عجوز؟

م العجوز : حين تدب قدمى على خشبة المسرح..

هـامـلـت : أبعد هذا العمر الطويل الذى لعبت فيه دور الملك، لازلت تذكر أنك ملك على خشبة المسرح فقط؟

م.أ الجيوش : نعم يا سيدى، هو يدرك أنه ملك على خشبة...
(يضحكون...)

م العجور : خشبة؟!، أهذا هو اسمك يا أمير الجيوش؟!، يا لها من مملكة هذه التى تنضوى جيوشها تحت لواء خشبة...
(يضحكون....)

هـامـلـت : قل لى يا مولاى..

م العجوز: يا مولاى...
(يضحكون...)

هـامـلـت : ماذا كان شعورك حين دخلت الى هذا القصر ـ بصفتك ملكاً قديماً بالطبع.. (م العجوز يبدو مرتبكاً ـ كمن اكتشف أمره ـ والممثلة تنتقل من مكانها وتقف إلى جوار ممثل أمير الجيوش..).

هـامـلـت : لا تخف، وانسَ أنك تقف أمام الأمير، فحقيقة ما أشعر به الآن هو أنك أبى، قل ما شئت، حدّثنى عما دار برأسك حين عبرت البوابة الرئيسية ومررت بالحراس..

م العجوز : حزنت..

هـامـلـت : لماذا؟!

م العجوز : لأن الملكة لم تكن بانتظارى..
(يضحكون..)

الممثلة : أهكذا يا عجوز؟!

هـامـلــت : يا لك من ملك بائس؟!، ألا تعــرف أن الملكات لا يضيّعن وقتهن في الإنتظار؟!، وتقول بأنك ملك على الخشبة؟!، (للممثلة) مليكتي، وجو هنا يحطمها الزمن، امّا وجوهكن فعنيدة، هلاّ اخبرتني بالسر؟

الممـــثلة : المساحيق..

هـامـلــت : اذن أنت تمثلين دورين، دور التي لا تشيخ أبدا، ثم دور الملكة. الملكة أمي أرحم منك كثيراً، لأنها تلعب دوراً واحدا فقط، فهي دائما ملكة في الرابعة عشر من عمرها، الحمدلله..

(يدخل بولونيوس وجلدنسترن في أعقابه...)

هـامـلــت : أما هذين ففأرين كبيرين يمثلان دور البشر..

(يضحكون... ونرى الممثلة وممثل أمير الجيوش منسجمين مع بعضهما تماماً..)

بولونيــوس : مرحباً بكم يا سادة..

الممـــثلون : أهلا وسهلاً يا سيدي..

بولونيــوس : أرجو أن يكون كل شيء على..

هـامـلــت : (مقاطعا) إطمئن يا سيدي، «على ما يرام»، وإن كنت أشفق على «ما يرام» هذا من كثرة ما أثقلنا كاهله بالأشياء، أتعرفه يا سيدي؟

بولونيــوس : ماذا؟!، (يتنحنح) عموماً (مخاطباً الممثلين) أرجو أن يجد سمو الأمير في صحبتكم ما يسعد به...

هـامـلــت : لماذا أنت قلق؟، لا تقلق، فـ «ما يرام» سيقوم بواجبه على اكمل وجه، لأن صحّته عليه كما تعلم..

بولونيــوس : نعم نعم.. جـلالة الملك سـيـتكرّم بمشـاهدتكم حين تجهزون للعرض، وها هو جلدنسترن، جئت به ليسهر على راحتكم..

هــامـلــت : إذن عليه بالبقاء..

بولونيــوس : سيبقى يا سيدى..

هــامـلــت : فى الخارج، لأن هذا ليس مكاناً للفئران، هيا..

جلدنســترن : أمرك ياسيدى.. (ويهم بالإنصراف..).

هــامـلــت: إنتظر، أرجو أن تغسل فمك قبل أن تنطق باسمى.. (جلدنسترن يبدو عليه الإرتباك، ثم يهم بالإنصراف..)

هــامـلــت : إنتظر.. كيف يعقل يا ذيل أن تخرج وجسدك (مشيراً إلى بولونيوس) لازال هنا!!

بولونيــوس : (محتجاً) سيدى؟!

هــامـلــت : هل سمعت ما قلته الآن؟

بولونيــوس : نعم يا سيدى..

هــامـلــت : كـيف جـرؤت على سـمـاع كلمـاتى بهـاتين الاذنين القذرتين؟!

بولونيــوس : سيدى؟!

هــامـلــت: (منادياً) أيها الحارس...

(الحارس يدخل)

هــامـلــت : (مشيراً إليهما) إلق بهما إلى القطط..

الحـــــارس أمرك يا سيدى..

هــامـلــت : ولا تأذن لأحد بالدخول حتى لو كان هاملت نفسه..

أمرك يا سيدى..

بولونيـــوس : (محرجاً تماماً) معذرة يا سادة، بعد إذنكم..

هــامــلـــت : (صائحاً) هيا....

(بولونيوس يبادر بالخروج يتبعه جلدنسترن ثم الحارس).

هــامــلـــت : الآن، وبعدما تخلّصنا من الصفاقة، حان الوقت لكى أحدثكم عن المسرحية التى ستقدمونها أمام الملك.. لقد انتهيت من كتابتها صباح اليوم..

م العـــجــوز : هل تكتب المسرحيات يا سيدى؟

هــامــلـــت : نعم...

(ينظرون إليه باستغراب شديد..).

هــامــلـــت : لماذا تنظرون إلىّ هكذا؟!

م. ا. الجيوش : معذرة يا سيدى، أن يكتب الأمراء مسرحيات ولأمثالنا، فهذا شيء لم نصادفه من قبل أبدا، وأعتقد بأنه غير مسبوق...

هــامــلـــت : وها هو قد حدث، ماذا فى ذلك؟!

م العـــجــوز : لا يا سيدى، لم يقصد، فلاشك ان هذا تشريف كبير لنا، وللمسرح أن يذكر كثيراً تواضع سموكم ونزولكم للكتابة....

هــامــلـــت : (مقاطعاً) أشكرك على هذا الإطراء، وآمل ألاّ تكثر منه لأنه يزعجنى... المسرحية اسمها «مصرع الملك دنكان»، وتدور حول مصرع ذلك الملك على أيدى زوجته وأخيه قائد الجيش الأمير «مكبث».. هل أنتم مستعدون للعمل؟..

الممـــثلون : بالطبع يا سيدى..

هــامــلــت : إذن فلنبدأ... (للممثلة) سيدتى، سأقوم أمامك بأداء دور الملكة، وعليك أن تراقبينني جيداً، لأنك ستحفظينه عن ظهر قلب..

الممـــثلة : أمرك يا سيدى..

هــامــلــت : تعالى معى...

هــامــلــت : (هاملت يمضى بها إلى وسط مقدمة المسرح..)
إجلسى هنا..
(الممثلة تجلس مولية ظهرها للجمهور)

هــامــلــت : وافتحى عينيك عن أخرهما.. (للممثل العجوز) تعال.. (الممثل العجوز يتقدم إليه) عليك أن تنام هنا (مشيراً إلى مكان ما أمام الممثلة مباشرة) ستلعب دور الملك دنكان وهو نائم للممثل الذى يلعب دور أمير الجيوش) يا أمير الجيوش، تعال واجلس هنا (مشيراً إلى مكان ما على يسار المسرح بجوار شمعة موضوعة فوق حامل، هاملت يتجه إلى الشمعة ويشعلها.. ثم يقول للممثل العجوز) أيها الملك، عليك الآن ان تستغرق فى النوم تماماً، وتشخر على أن يبدو شخيرك كصرير الباب القديم الصدئ، هيا، فلتبدأ فى إزعاجنا.. (للآخرين) تفضلوايا سادة بالجلوس..
(الأخرون يجلسون ويتفرجون.. يتم إظلام المسرح تماماً إلاَّ من ضوء الشمعة الواهن أما الصمت فمطبق، لا يهتكه الإ شخير ممثل الملك...).

هـامـلـت : (في دور الملكة...).

«حين يتّسع الجسد يضيق الفراش، وحين يضيق الفراش تزداد وحدتى، رغم حضور الملك.. يا مليكى، قَر عيناً، ها أنا أموت بجوارك حتى الصباح ... إلى متى سأظل أمارس النجوم نجمة نجمة، وأنام ناقصة؟!!، منذ أدركتك ظلمة الشيخوخة وأنا كل ليلة أرتدى أشف الثياب وأعمل زينتى وأرسل شعرى، ثم أصعد فوق سرير الليل وأعاشر السحاب!!... اف!!.. (يحك أنفه)... رائحة العطب تغمر انفى!!، من أين لى بها؟!.. أظنها رائحة العجائز، الجسد الذى شاخ يعلن عن نهايته بوضوح، ويرفع أمام زحف الزمن راية بيضاء سرعان ما ستصير كفناً.. أيها الملك، لملم رائحتك هذه وارحل عن فراشى فلازلت صبية ولم يزل الندى يمشى إلىّ حيثما أكون.. إنظر، إنظر.. هذه وردة حمراء فى شعرى، وتلك صفرا والأخرى بيضاء.. ولم يزل العشب ينمو حول قلبى، والنهر يتدفّق عذباً من فمي ـ بالأمس حين مررت بجوار أخيك ارتطمت عيناه بقلبي!!، أف!!.... إلى متى سأظل أهيم ليلاً فى ممرات القصر وأحرق ما تبقى لى من جسد وأحصى العمر الذى سقط منّى معك منذ أدركتك ظلمة الشيخوخة (يقترب من الشمعة).. اتتمنّى العرش؟.. أعرف أنك تنتظر اليوم الذى ستمشيه فى جنازة الملك حتى تصل إلى العرش.. (بخبث) فيك مطمع، لكنك لست ماكراً، مرمى نظرك

بعيد، غير أنك تريد أن تصل دون أن تفقد نقاءا ليس فيك وطهراً تدّعيه، أليس كذلك ؟!، تعال، تعال... سأغسل نفسك الضعيفة من الوساوس الدنيئة التي تمنع يدك عن اغتصاب التاج الذى أريد أن أضعه على جبهتك... أيها الملك الحالك الظلمة، أخوك يضيؤنى..»

(تصفيق حاد من الجميع... ويعود الضوء إلى المسرح...)

المـمـثلون : رائع يا سيدى، رائع....

م العجوز : والله لولا حيائى لتوسلت إلى سموكم أن تأتى وتعمل

هاملت : معنا فى المسرح.. هاملت: قال لى أصدقائى هذا من قبل..

م العجوز: لم يجاملوك يا سيدى...

هاملت : أعرف، (للممثلة) هل فعلتي ما طلبته منك يا سيدتى؟

الممثلة : نعم يا سيدى، لكننى سأحتاج إلى بعض الوقت لكى

هاملت : اتدّرب علي الدور..

بالطبع يا سيدتي، وإن كنت أرى بأنك لست بحاجة إلى

الممثلة : تدريب..

هاملت : أشكرك ياسيدى..

ثم إن هذا مشهد واحد ولم تزل هناك مشاهد أخرى كثيرة، كان الله في عونكم، إستريحوا الآن، (لهوراشيو ومرسلس وبرناردو) هيا بنا.. (يخرجون....).

المشهد التاسع

(الملك، بولونيوس، أوفيليا، جلدنسترن...).

بولونيوس : وخرجنا يا مولاى نجر أذيال الخزى والخيبة أمام المهرجين...

الملك : واضح ... وما الذى يفعله مع المهرجين؟

بولونيوس : كيف لنا ان نعرف يا مولاى، لكننى حين دخلت عليهم رأيتهم يضحكون، ويبدو لى انه يجد شيئا من السعادة فى صحبتهم...

جلدنسترن : لا يا سيدى ـ لو أذنت لى ـ لقد ضحكوا على شىء قاله الأمير بشأننا حين دخلنا..

الملك : أتذكر هذا الشىء الذى قاله يا جلدنسترن؟

جلدنسترن : نعم يا سيدى، قال: «هذان فأران يمثلان دور البشر»..يبدو

بولونوس : أنه جن فعلاً يا مولاى..

الملك : (يصمت قليلا مفكراً.. ثم ...) إذهب انت الآن يا جلدنسترن..

(جلدنسترن ينحنى ويخرج..).

الملك : يجب أن أعرف سبب هذا الجنون...

بولونيوس : كما قلت من قبل يا مولاى، إنه...

الملك : اعرف رأيك، لكننى أريد أن أرى بنفسى...

بولونيوس : لدى اقتراح يا مولاى....

الملك : ما هو؟..

بولونيــوس : من عادة الأميرفي مثل هذه الساعة أن يتجول في هذه القاعة وهو يقرأ، ماذا لو اختبأنا هناك (مشيراً إلى ستارة في أحد الأركان)، ثم أطلقنا عليه ابنتي، على أن تمثل عليه أن التقاءها به جاء مصادفة محضة، ثم نسمع يا مولاى ما سيدور بينهما...

المـلـك : موافق...

بولونيــوس : (ينظر الى الخارج) ها هو قادم يا مولاى، أسمع وقع أقدامه يقترب، هيا، هيا بنا...

(يبادرون بالذهاب الى الستارة والاختباء خلفها.. يدخل هاملت وفي يده أوراق، يقرأ وهو يمثل..).

هـامـلـت : «لقد أدركتني الشيخوخة، وأصبح التاج ثقيلاً على رأسي... من عدّة أشهر طلبت منهم أن يصنعوا لي تاجاً أقل وزناً لأن عنقي تؤلمني كلما ارتديته، فهل أطلب منهم هذا ثانية؟، ما الذي سيقولونه إذن؟، لابد أنهم سيدركون أن مليكهم لم يعد يقوى على حمل التاج... لا لا، لا يجب أن يعرف أحد بذلك أبدا، بل سأطلب منهم أن يضاعفوا كمية الذهب و ... لا، لن أطلب، رأفة بعنقي... لو تعلم اسكتلندا كم أضحى لأجلها!!»

(تدخل أوفيليا، ما أن تراه حتى «تشهق» وتعطيه ظهرها ـ كأنما فوجئت به).

أوفـيـلـيـا : أوه!!، ما كنت أحسبك هنا!!

هـامـلـت : هو قناع أخر أستطيع أن أرى ما وراءه..

أوفـيـلـيـا : ماذا تقول يا سيدى؟

هـامـلـت : أقول كم تسعدنى هذه المصادفات التى تشبه وجهك مطلياً بالمساحيق.. (لحظة صمت ينظر خلالها إليها...) .

هـامـلـت : ستظل هذه الضفيرة حبلاً سرياً يشدك إلى الطفولة ويمنحك تاج براءتها، فلا تحصديها أبداً، كي ينخدعوا بك مثلى...

أوفـيـليـا : ماذا؟!

هـامـلـت : يا للاقنعة التى لا حصر لها!!..

أوفـيـليـا : سيدى أنا لا أفهمك؟!

هـامـلـت : بعدما تتزوجين ـ أو ربما قبل ذلك بكثير ـ ستعرفين أنك كنت تفـهـمين أفكارى جيـداً، ولن تكفّى عن ممارستها فوق سرير العلانية مثل الأخريات..(أوفيليا تشعر بالحرج وتحاول أن تدارى خجلها..) .

أوفـيـليـا : ماذا تقصد يا سيدى؟!

هـامـلـت : أوه؟!... حتى اللغة، ذلك القناع المفضوح لا أحد يكف عن ارتدائه!! (من الخارج يأتى صوت سعلة قوية، هاملت ينتبه لها، لكنه يبدو كمن لم يسمع شيئاً ـ بينما نرى الإرتباك واضحاً على أوفيليا..) .

هـامـلـت : أين أبيك؟

أوفـيـليـا : فى البيت...

هـامـلـت : إخبريه بأن عليه أن يكف عن أن يكون فى البيت وفى مكان آخر فى نفس الوقت، كى لا أجرّه من أذنيه وأرمى به إلى القطط (مستدركا)آه، نعم، أريد أن أسألك، لماذا لا ترتدين ثيابك؟

أوفـــيليـــا : (تنظر إلى ثيابها بدهشة) وهذا الذى تراه على جسدى، ماذا تسمّيه؟!

هــامــلــت : أسمّيه عرياً نائتا..

أوفـــيليـــا : ماذا؟!

هــامــلــت : ولن أسقط فى السرير الذى تنصبينه لى، أتفهمين؟! (هنا يسقط بنطلونه على الأرض فجأة، أوفيليا تصرخ: هاملت يمسك ببنطلونه ويفر هارباً... يدخل بولونيوس مسرعاً يتبعه الملك...).

بولونيـــوس : ابنتى؟!

أوفـــيليـــا : (مذعورة) أبى، أرأيت ما فعل؟!

بولونيـــوس : (يربت على كتفها) نعم رأيت، كانت مشورة حمقاء؟! (اوفيليا تبدو متألمة جداً).

المـــلـــك : لاشك أن به مس من الجنون، وقد يكون ما ذكرته لى صـحـيـحـاً.. ولكن... (الملك يمضى فى طريقه إلى الخروج، بولونيوس يجرى ليلحق به..).

بولونيـــوس : ولكن ماذا يا مولاى؟، مولاى.. مولاى... (يخرجان، وتبقى اوفيليا بمفردها..).

أوفـــيليـــا : لماذا يذهب الشجر قبل أن يأتى؟.... صار نجمة آفلة وقمراً فى المحاق ... أى هاملت، قل لى: أين العسل؟، أين العسل الذى وعدتنى به؟! (تبكى)... ها أنت تتسلّق وحدك حبل الجنون وتصعد إلى فراغ الكون، كرؤيا أخيرة قاسية، قاسية على القلب.. لا، لن أحتمل، لن احتمل ان اظل وحيدة، فى الأرض وحيدة وبين البنات..

من يمنحني قليلاً من الحزن عليّ، عليك.. قلبي ملآن بك وبالبكاء.. تعبت، تعبت.. فلماذا يا شجر تذهب قبل أن تأتي؟!!...

المشهد العاشر

(هاملت، هوراشيو، الممثلون،... يتحلّقون حول الممثل العجوز ـ الذي يلعب دور الملك دنكان ـ ذلك على ضوءالشمعة ـ ونلاحظ أن الممثلة تجلس ملتصقة بممثل الأمير قائد الجيوش..).

الممثل العجوز في دور الملك: «لو تعلم اسكتلندا كم أضحّي لأجلها!!، سأضحّي بما تبقّى لي من عنقي في سبيل اسكتلندا.. لا لا، بل يجب أن أحافظ على ما تبقّى لي من عنقي لأجل استكتلندا.. (ساخراً)جموع الشعب يحملون تراب اسكتلندا في قلوبهم وانت لا تستطيع أن تحمل تاجًا من الذهب على رأسك؟!، يالك من ملك عجوز حقًا!!.. لو أعرف لماذا يتركنا القدر هكذا حتى تدركنا الشيخوخة؟.. والملكة؟.. حقاً تصغرني بعدة أعوام لكنها على أعتاب الشيخوخة هي الأخرى، نعم، التجاعيد والشيب يغزونها منذ زمن ولم تعد صغيرة.. أيعقل أن تكون شيخوختي قد تسرّبت

إليها لكثرة نومها إلى جوارى على السرير؟!.. لا لا، إن أحداً لم يقل بهذا من قبل أبداً... ثم، ثم.. لقد بذلت لها فى شبابى الكثير، ألا تبذل لى هىَ القليل فى شيخوختى؟!!... ما الذى ينقصها؟!، لديها المال والجاه و ... ؟!! وهل هما بالشيء اليسير؟!.. لكن عيناها، عيناها تقولان لى «لماذا يا مليكى انطفأت مبكراً؟.. «... مليكتى انطفأت، انطفأت.. طفأنى الزمن ولم يعد بمقدروى أن أضئ لك الفراش فى الليل... أسمع نجواك، أصم أذنىّ، تنادين، أختبئ فى الصمم، تصيحين، أنفخ فى بوق الشخير معلناً غيبتى... (فجأة) سآتيك بأخى «مكبث»، سأدعوه للإقامة معنا فى القصر علّه يبدد وحدتك...»..

(الجميع يصفقون كيفما اتفق ـ فيما عدا هاملت..)

م العجوز : يبدو أننى لم أحسن الأداء يا سيدى..

هاملت : لا يا أبى، أنا الذى لم أستطع أن أعبر عما أردت بالضبط.. (لحظة صمت، ثم ينهض فجأة)أيها الملك العجوز، إصغ إلىّ... أنت دائما يحلو لك أن تلعب دور الضحية، دور القتيل الذى يُسفَك دمه دومًا بيد اقرب الناس إليه وأكثرهم تقبلاً لعطاياه.. وتسعى من وراء ذلك

هاملت : إلى الإعلاء من قدر نفسك على حساب الآخرين.. دعوت أخاك للإقامة معك فى القصر، ورأيت احتفاء الملكة به ورغم ذلك لم تحل بينهما بل مددت لهما الحبل على الغارب.. وأمام الجميع لعبت دور الرجل

الكريم الذى يحنو عليهما، أما ما كنت تخفيه فى نفسك فهو طريق ممهد كنت تعلم أنهما سيقطعانه حتماً إلى خيانتك ثم قتلك..

(الممثلة وممثل أمير الجيوش يقفان مذهولين، الممثلة تحتمى بالممثل..).

هاملت : أردت أن تصنع من نفسك أسطورة، فوقع اختيارك عليهما لكى يقتلانك، وعينّت لهما المكان والزمان بل والاداة والطريقة أيضا، لتصير شهيداً، ويصيرا قتلة... قدمت لهما أسباب القتل، ووضعت الخنجرين فى أيديهما وقلت لهما: «اقتلانى، اقتلانى.. إنزعوا عنّى هذا الجسد الشائخ الذى يثقل روحى المتعبة، لأصير خفيفاً، وأصعد.. وأظل أصعد، فوقكما..» ..

(م العجوز يسقط على الأرض مغميًا عليه... الجميع فيما عدا هاملت ـ يبادرون إليه... ثم يحملونه إلى الخارج... هوراشيويدنو من هاملت..).

هوراشيو : سيدى، هل هذا تمرين على الجنون الذى تدعيه أم أنه بروفة على المسرحية التى ستقدمها أمام الملك؟

هاملت : أنا الآن جاداً كما لم أكن من قبل يا هوراشيو..

هوراشيو : إذن سيرى الملك بأنك أعقل العقلاء، لأنك بهذا تبرر له جريمته على نحو فائق...

هاملت : أرى أنك لم تع موقفى جيداً، ولم تفهم أننى أتساءل عمّا إذا كان عمّى وحده هو الذى اختار أبى ليوقع عليه فعل القتل، أم أن أبى شريك له فيما فعل؟

هوراشيو : ماذا؟!، أعتقد أن هذه الطريقة فى التفكير تمت بصلة إلى العّلامة كورنيليوس؟

هاملت : نعم، هى نظرية الكونت كورنيليوس، وقد امتلأ بها عقلى...

هوراشيو : .... وماذا لو تأكد لك أن مسئولية عمّك عن فعل القتل لا تزيد عن سبعين أو ستين أو حتى أربعين فى المائة، هل ستطعنه خمس طعنات أم ثلاث فقط بدلاً من العشرين اللاتى جاد بها على أبيك؟!، ما جدوى مثل هذا البحث الذى لا طائل من ورائه؟!، ماجدواه لك ولأبيك؟!!..

هاملت : القضية أكبر منى ومن أبى... انت تنظر إليها كقضية ثأر، أما انا فأنظر اليها على نحو آخر...

هوراشيو : كيف تنظر إليها اذن؟!

هاملت : أنا أنظر الى فعل القتل ياهوراشيو.. ألفعل فى ذاته... ياله من فعل مروّع؟!... (بأسى عميق) من الذى علّمنا أن نرى الدم يراق ولا نرتعد؟!، كيف جرؤنا؟!.. أين قلوبنا؟!، بل أين نحن؟! ومن نكون؟!..... كان يتكلم.. كان يملأ الصمت ويملأ الهواء بجسده الحى، يضحك ويبكى ويروح ويجىء.. ثم كفّ؟!.. إنهزم امام ما كان يملأه وانهزمنا معه ولو بمقدار جسد واحد وروح واحدة...؟!

أيها القاتل، كيف جرؤت...؟!

فيما مضى، قبل أن تسفك دم أخيك، ألم تكن أفعال القتل التى يأتيها الأخرون تشعرك بأن القتلى إنما يسقطون من جسدك أنت؟!، وأن القتلة يذبحون العشب النابت فى ساحة قلبك وينشرون الزجاج فى دمك ويهزمونك أمام الدنيا فتنتحى جانباً لتجرع الضجر فى صمت المقتول؟!.. ألم تبدو لك الأرض كرة مظلمة معلّقة فى فراغ الكون وأنت فوقها تمضى وحيداً، تغمرك العواصف والرعود والشهب المارقة...؟!، ياللرعب؟!... ورغم ذلك أقدمت على القتل؟!.. لابد ان هناك شيء ما يغرينا بممارسة ذلك الفعل اللعين.. ماهو؟!.. ما هو ياهوراشيو؟!.. أهو إرادة القتل؟!..

المشهد الحادى عشر

(الملك، الملكة، بولونيوس، أوفيليا، جلدنسترن، هاملت، هوراشيو، الحاشية.... يجلسون فى الظلام ويتفرجون على المسرحية الداخلية..... وعلى المسرح الداخلى نرى الممثلة تلعب دور الملكة..).

ـ ملحوظة: هذا المشهد مستعار من مسرحية «مكبث» بكثير من التصرف.

ممثلة الملكة : أيتها الأرواح الشريرة، جردينى من أنوثتى، إفعمينى قسوة من رأسى إلى قدمى، إقفلى فى ضميرى كل منفذ

للشفقة، لا تأذنى للرحمة أن تلطف شرتى، أسعدينى يا جنّيات الهلاك وافدات من كل مكان تشهدن فيه بلاءً وشراً، وأنت أيتها الليلة الليلاء أرخى علىّ سدولك وائتزرى بكسف من دخان السعير، حتى لا يرى خنجرى المسنون موقعه من الطعين.. (يدخل الممثل الذى يلعب دور الأمير مكبث..).

ممثلة الملكة : ايها الأمير العظيم، يا صاحب اللقب الذى سيكون أكبر من أى لقب على ظهر البسيطة، الطموح الذى أقرأه فى عينيك ينقلنى على أجنحة الآمال الى آفاق أرحب..

ممثل الامير : لقد أوى الملك إلى فراشه..

ممثلة الملكة : ولن ينهض منه على قدميه أبدا.. واعلم أن من الخطر أن يتكلم الوجه، فليكتم جبينك ما فى قلبك، وأنا الكفيلة بالباقى.. (تخرج..).

ممثل الأمير : هو أخى، ثم أننى تابع له.. ويجب علىّ أن أحرس بابه، فكيف بى وأنا أطعنه بخنجرى؟.. لقد أغدق علىّ من النعم الكثير وشملنى برعايته، حتى أصبح لو امتدت إليه يد بأذى لوثبت فضائله التى له علىّ من مكانها وثبة الأرواح العلوية من موطنها، تنوء بذكره وترتل بشكره وتثير نفوس القساة والرحماء على قتلته الرجماء، بل لهبّت الشفقة أشبه بروح الطفل ساعة مولده، أو بأحد الملائكة الممتطين جياد غير منظورة وأبدت للناظرين شناعة تلك الفعلة، فاستمطرت عيونهم من الدموع ما يهبط الريح العاتية تحت وابله، على أنه ليس لى من

باعث على قضاء أمنيتى سوى مطمع وثب إلى السرج فجاوزه بقوة اندفاعه وهوى فى الجانب الآخر...

(مدخل ممثلة الملكة...).

ممثلة الملكة : كل شيء على ما يرام؟

ممثل الأمير : يبدو لى أن نقف من هذه المسألة عند هذا الحد، فلقد جاد الرجل عليّ بمفاخر لا حدّ لها..

ممثلة الملكة : أكان سكران ذلك الأمل الذى داخلك حينا، أم نام بعد ذلك، حتى إذا صحابدا شاحباً كمداً، كأنه يشعر بصغره، دون عظيم القصد الذى أقدم عليه؟، أتخشى أن تسمو أفعالك إلى مرتبة آمالك؟، أتريد ان تملك ما تعدّه زينة الحياة الدنيا من غير أن ترقى فى خاصة نفسك من مكانة الجبان الذى يدفعه الأمل ويمنعه الوجل، كذلك السنور الذى يحب الماء ويكره البلل؟

ممثل الامير : أرجو ألا تزيدى، أنا أجرؤ على ما يليق بالرجل أن يفعله، فمن جرؤ على أكثر ليس برجل..

ممثلة الملكة : ان كان هذا كل أمرك، فما البلاهة التى حدتك على إبلاغى هذه النية؟

تلك نيّة حين عقدتها كنت رجلاً، فلو أنفذتها، وسما قدرك إلى أوج العلياء، لما ازددت إلا رجولية، لقد وضعت فأرضعت، فعرفت كيف تحنو الأم على الطفل العالق بثدييها. فوحقك لو عاهدت نفسى على مثل ما عاهدت عليه نفسك، لا نتزعت رضيعى عن نهدى إذ هو باسم يرنو اليّ، وهشمت رأسه قبل أن أحنث.

ممثل الأمـيـر : ولكن ما حالنا إذا لم نفلح؟

ممثلة الملكة : كـيف لا نفلح؟!، شد عزمك إلى الشأو المطلوب ندرك يقيناً ما نشاء. متى ران الكرى على عيون الملك، وهو لاشك حادث الان، سيكون حارسا، اللذان يعبّان الآن من النبيذ الممزوج بالعقاقير قد سكرا وفقدا عقليهما، فإذا ناما كالموتى، كان أيسر شيء علينا والملك في عزلته وانفراده أن نقضى عليه كما نهوى، ثم نلطخ الحارسين بالدم لنثبت عليهما تهمة القتل...

ممثل الأمـيـر : وإذا فرغنا من تلطيخ الحارسين بالدم واستخدامنا لمأربنا خنجريهما، فمن ذا يشك في أن تلك الجناية إنما هي من صنعهما؟

ممثلة الملكة : ومن ذا الذي يخطر على باله غير ذلك، حينما نجهر بالعويل، ونجهش بالبكاء أسفا على موت أخيك وزوجي الملك الفقيد... هيا.... (تخرج...).

ممثل الأمـيـر : .... أهذا خنجر يلوح لي مقبضه متجه نحو يدي.. تعال، لتنضم عليك أناملي.. تفر.. ولكنى أراك، ألا يقع عليك اللمس كما يقع النظر؟
ام لست غير خنجر متخيّل؟!.. ها أنت تمشى أمامي لتهديني سبيلي، يسيل منك دم لم يكن عليك منذ حين.. أم لاوجود لشيء من كل هذا، ونيّة القتل هي التي تغشى عينيّ..؟!..
(ممثل الملك نائم على سرير بحجم مناسب، يمتد أمام الجمهور الداخلي، ويرتفع عن مجلسهم إرتفاعا مناسبا،

وعلى مقربة من السرير نرى الحارسين نائمين على الارض بشكل غريب من أثر السكر الشديد وخنجريهما بجوارهما.. ممثل الأمير يتقدم ببطء وخوف نحو ممثل الملك النائم... وفى الخلفية تظهر ممثلة الملكة أشبه بالساحرة وسط الدخان الملوّن..).

ممثلة الملكة : الذى أسكرهم شجّعنى، والذى أقعدهم انهضنى.. اصغوا، إصغوا.. هذا نعيب اليوم، هذا نعيق الساحر المشئوم، يمسّى نوام هذا الليل بالويل والثبور... (لممثل الأمير) ويحى؟!.. (الحارسان يتحركان وهما مستغرقان فى النوم) هيا، هيا.. أخشى أن يفيقا قبل أن يقضى الأمر فنهلك لا محالة.. لو لم أجده وهو نائم شبيها بإبنى لطعنته بيدى.. هيا .. هيا...

ممثل الأمير يتناول الخنجرين من الأرض، ويدنو ببطء من ممثل الملك..).

ممثل الملكة : هيا....

(ممثل الأمير ينهال على ممثل الملك ـ النائم ـ طعناً بوحشية، ممثلة الملكة ـ فى الخلفية ـ تضحك بهستريا، والدخان الملوّن ـ لاسيما الأحمر ـ يتدفق على المسرح بكثافة...).

الملك : (ينهض فجأة، من مجلسة وسط المتفرجين، ويصيح) هذا فظيع، فظيع.. أوقفوا هذه السخافات...؟!!

(الملك يغادر المسرح مسرعاً وبولونيوس وجلدنسترن فى أعقابه.. ينهض الجميع وتضاء الانوار...).

المتفرجون : مسرحية فظيعة فعلاً؟!، ما هذا؟!، قلوب الناس خلت من الرحمة، وحوش، ياللفظاعة..؟!

(الملكة متوترة، تسرع بالخروج وأوفيليا فى أعقابها.. المتفرجون يخرجون تباعاً.. هاملت وهواشيو يدنوان من بعضهما ويتقدمان إلى مقدمة المسرح..)

هاملت : هوراشيو.. أرأيت صياحه؟!، أليس هذا اعترافا صريحا، وإعلانا على الملأ؟

لقد صحّت نظريتى..

هوراشيو : سيدى.. والحق يقال إن ما شاهدناه الليلة يدعو للصياح بل وإلى ما هو أكثر من الصياح، فالعرض ـ لو أذنت لى ـ فظيع حقاً، وأصارحك القول أيضاً بأننى لو لم أكن فى حضرة الملك لأطلقت صيحة أكثر دوياً من الرعد..

هاملت : ماذا؟!..

(فى خلفية المسرح، الممثلة وممثل الأمير يدنوان من الممثل العجوز ـ إذ لم يزل نائماً على سريره ـ ويحاولان إيقاظه...).

هوراشيو : سيدى، إن ما فعله الملك ـ إن عددناه اعترافا ـ فهو شهادة دامغة على رقة قلبه..

هاملت : (صائحاً بحدة) هوراشيو!!، ماذا تقول؟!

هوراشيو : قلت ما أملاه علىّ ضميرى يا سيدى..

هاملت : لكننى شعرت بأن صيحته تلك لم تخرج من أحشائه لكونه ملكا يحق له أن يصيح بما لم تصح به النسوة،

لقد استقبلت أذناى بل وحواسى كلها صيحته على نحو واضح لا لبس فيه..

هوراشيو : هذا لأنك حدّدت له الدور الذى عليه أن يلعبه فى واقعة قتل أبيك، ولم تشأ له أن يلعب دورا آخر أو أن يكون رجلاً آخر غير الرجل الذى أردت له أن يكونه..

(فى خلفيه المسرح، الممثلة تصيح مولولة وتنثر شعرها على الرجل العجوز الممدد على السرير، وتبكى.. بينما ممثل الأمير يلطم خدّيه..).

هاملت : (ملتاعاً) هوراشيو، قتلوه!!، قتلوه!!!!...



الفصل الثانى

المشهد الأول

(الملك ثملاً، في يده زجاجة خمر، وثلاثة موسيقيين يعزفون لحناً رقيقاً....)

الملك : كلوديوس يموت الآن في كلوديوس.. تعالوا تعالوا، تعالوا وانظروا من أي جسد سيخرج كلوديوس، كي يبدأ الغياب، كي يبدأ التراب الطويل الطويل.. تعالوا، تعالوا... أعليّ أن أظل مستيقظاً حتى أرى العاصفة الأخيرة التي ستهبُّ عليّ؟!... إعزفوا، إعزفوا.... إعزفوا قمراً للعواصف كي تنام، وكي أنام.. لو أنام قليلاً، لو أنام... إعزفوا، إعزفوا نافذة.. لأطل منها على كلوريوس القديم وهو نائم في فراشه ينتظر الندى والحمام.. (يجرع الخمر..) من أين يبدأ الغياب.... لو أغيب قليلاً، لو أغيب... (يجرع الخمر بنهم... ثم يصيح فجأة وهو يلقي بالزجاجة جانباً) كفي، كفي...(وينقض على الموسيقيين وينتزع آلة أحدهم ويمزّق أوتارها ثم ينهال عليهم ضرباًبها، الموسيقيون يفرون مذعورين إلى الخارج،

يقذفهم بالآلة.. يلهث..) الأوغاد.... يوقظون العواصف في رأسي....ويطلقـون ضـمـيـري علّي، ويرمـونني في ذاكـرتي وحـيـدا بلا أخ يؤنسني......هاملت، هل أنت غاضب مني، أتشعر أنني جردتك من الحلوى؟!.. أعلم أنك أدركت الآن كل شيء، كل شيء... كأنك كنت معنا (يخلع التـاج وينظر إليه)وكل هذا من أجل قطعة المعدن هذه التي تثقل رأسي؟! ، من يقايضني، من يأخذ التـاج ويرد كلوديوس القـديم؟! كم تشيـد أباك؟! غيـر أنك في ردائك الأسـود أشبـه بشبح اخي الذى قتلتـه يدى؟!... هل ستقتلني لا، هل ستقتل ميتًا؟!... أمك الآن في الفراش تقتلها قسوتها على أبيك، فهل ستقتلها أنت أيضـا؟!...... (صائحًا) أيها الملك، أريد أن أعرف من قتل من ؟!!...

(يدخل جلد نسترن يتبعه ثلاثة أطباء..)

جلدنسـتـرن : تفـضلوا ياسادة، تفـضلوا.. (ينحنى للملك) مولاى، ها هم الأطباء قد جاءوا للمثول بين أيديكم كما أمرتم...

المـلـك : أطباء؟! أيوجد أطباء في هذه المملكة؟!

جلدنسـتـرن : نعم يا مولاى، وهم خيرة أطبائنا...

المـلـك : ظننت أنه لايوجد لدينا غير المرض........

الأطباء ينظرون إلى بعضهم مدهوشين..)

طبـيـب : لكل داء دواء يا مـولاى، ولن يوجـد الدواء بدون الأطباء..

المـلـك : لا شك أن ما تنطق به هو عين الحكمة، جلدنسترن...

جلدنسترن : مولاى..

الملك : حين يموت هذا الطبيب، ادفنوه فى دورة مياه، لأنه يبول من فمه أمام الملك دون أن يستحى..

جلدنسترن : أمرك يا مولاى..

(الأطباء ينظرون إلى بعضهم مستنكرين...)

الملك : والآن، كيف حال الملكة؟..

طبيب ٢ : لا أخفى عليك يا مولاى، حالتها تدعو للقلق..

الملك : للأسف، حالتكم الطبية هى التى تدعو للقلق..

طبيب ٢ : مولاى ـ لو أذنت لى..

الملك : بول، بول...

طبيب ٢ : لقد قمنا بواجبنا على أكمل وجه يا مولاى، لكن جلالة الملكة بامتناعها عن تعاطى الدواء تجعل من عملنا شيئاً لا قيمة له. فلو أذنت لى، أرجو من جلالتكم ألا تتركوها هكذا نهبا لليأس الذى يترصدها، لأن حالتها فى تدهور مستمر.

الملك : إطمئن، ولأجل إخلاصك هذا سأصدر مرسومين، الأول لجرترود، وسآمرها فيه بأن تكف عن المرض الآخر الذى يحول بينها وبين تعاطى الدواء، أمّا الثانى، فلجرترود أيضا، وسآمرها بأن تكف عن إهدار قيمة أطباء المملكة..

(الطبيب ينظر إليه محرجاً، صامتاً..)

الملك : وماذا عن هاملت؟

طبيب ٣ : لم يزل فى غرفته يا مولاى، ويعرض عن التحدث إلى الناس، وهذه حالة اكتئاب واضحة..

الملك : من أجل هذا بالضبط أرسلت في طلبك أيها الطبيب، فما الجديد الذى أتيتنى به؟!

طبيب ٣ : (مرتبكاً) مولاى، وما حيلتى مادام يرفض مقابلتى؟!

الملك : أليس لديك حيلة على الإطلاق؟

طبيب ٣: لست افهم ما تعنيه يا مولاى..

الملك : أعلم أنك لا تفهم، (فجأة) تحايل عليه يا مغفل حتى لو اضطررت للتنكّر في زى خادم، أريد أن أعرف حالته بالضبط، وما السبب في جنونه؟ وإلى أى حد بلغ به هذا الجنون؟ وما الضرر الذى يمكن أن يسببه لنا؟ وفيما يفكر؟، أفهمت؟!

طبيب ٣ : نعم يا مولاى، سأفعل..

الملك : (لجلدنسترن) هل تبقى شىء؟

جلدنسترن : الطبيب الذى أوقع الكشف على جثة الممثل العجوز..

الملك : (باهتمام) نعم، (للطبيب ١) أجعل لى ما توصلت إليه في عبارات قليلة ذات معنى يقبله العقل، هيا...

طبيب ١ : بعد توقيع الكشف على الجثة، إتضح لنا أن الممثل العجوز مات مثل غيره من الناس..

الملك : ... تقصد أنه لم يمت مثل غيره من القطط؟!، كم من الوقت أضعت من عمرنا في توقيع الكشف على الجثة؟!..

طبيب١ : (مرتبكاً) ثلاثة أيام متواصلة يا مولاى..

الملك : جلدنسترن..

جلدنسترن : مولاى..

الملك : اعتقلوا هذا الطبيب ثلاثة أيام اخرى مع الجثة فى دورة مياه بلا نوافذ..

جلدنسترن : أمرك يا مولاى..

الملك : (للطبيب) هلا تفضلت بالإفاضة فى شرح ما توصّلت إليه بعقلك النابه أم تروى بأنك فقدت عقلك قبل أن تمثل بين يديا؟، هيا..

طبيب ١ : (ينظر إليه حائراً).

الملك : لن أستطيع أن أقول لك «بول»، لأن قاعة العرش تحّولت إلى مبولة من كثرة البلاء الحسن الذى أصبتمونى به، تكلم..

الملك : (مرتجفاً) مولاى...

لماذا ترتجف هكذا؟!.. إهدأ ايها الطبيب وقل لى، أترتجف لأنك تقف أمام كلوديوس نفسه أم لانك تقف أمام قطعة المعدن التى أحملها على رأسى؟

طبيب ١ : مولاى، وما الفرق؟

الملك : ألا فرق؟!.. أتعنى أن كلوديوس تحول إلى معدن؟، أم تعنى أن كلوديوس ظهر له فى قمة رأسه عضو جديد من المعدن؟

طبيب١ : (وقد ازداد ارتباكه) لم أعنى هذا ولا ذاك يا مولاى..

الملك : ما الذى كنت تعنيه إذن؟

طبيب١ : لا شيء يا مولاى، لم أعن شيئاً...

الملك : كلامك لا يعنى شيئا، تماماً مثل وجودك كله... هيا هيا، حدثنى عن الرجل العجوز..

طبــــيب ١ : مولاى، أريدأن أقول بأنه مات بفعل القدر، أعنى لأن عمره كإنسان كان قد انتهى..

المـــلــــك : ألم يقتل؟!

طبـــيب١ : لا يا مولاى..

المـــلــــك : أمات هكذا من تلقاء نفسه؟!

طبـــيب١ : بالضبط..

المـــلــــك : والممثل الذى انهال عليه طعناً بالخنجرين أمامنا،أكان يمزح؟!

طبـــيب١ : كان هذا مجرد تمثيل يا مولاى، أما الخنجرين فكانا من الخشب، وقد صنعا خصيصا للمسرح بحيث لا يؤذيان أحداً..

المـــلــــك : ماذا؟!، ألم ترق منه ولو نقطة دم واحدة؟!

طبـــيب١ : لا يا مولاى، كما انه لا يوجد اى دليل يمكن أن يوحى بوجود نيّة للإعتداء على الميت....

المـــلــــك : (لحظة صمت يفكر خلالها مدهوشًا) لا توجد نيّة لدى الأحياء للاعتداء على الموتى، لن يتطور التاريخ إذن؟!، وستصير الدنيا قبرا بطابقين، أحدهما تحت الأرض والآخر فوق الأرض.. أثلجت صدرى أيها الطبيب،شكراً لك، جلدنسترن...

جلدنسترن : مولاى..

المـــلــــك : لقد رجعنا عن قرارنا بشأن إيداعه فى دورة المياه، فلاشك أنه لا يستحق هذا..

طبـــيب١ : (متهللاً) شكراً لك يا مولاى، شكراً جزيلاً...

الملك : جلدنسترن..

جلدنسترن : مولاى..

الملك : إكرموا هذا الطبيب، وكى يمحو من ذاكرته كل ما سبق أن أزعجناه به، وكى يعود الإطمئنان إلى نفسه تمامًا، لا تجعلوه يدخل دورة المياه الى الأبد..

جلدنسترن : أمرك يا مولاى..

طبيب١ : (مستنكراً بفزع) مولاى؟!

شكراً لكم يا سادة، هيا، اذهبوا... وانتظر أنت يا جلدنسترن.. (الأطباء ينحنون ويخرجون...).

الملك : أيطعن كل هذه الطعنات ويموت دون أن تراق منه نقطة دم واحدة؟، كيف حدث هذا؟، يالهما من داهيتين...؟!، جلدنسترن..

جلدنسترن : مولاى..

الملك : ألم تقل لى بأنك رأيت الممثلة ـ زوجة الرجل العجوز ـ والممثل يقبّلان بعضهما؟

جلدنسترن : نعم يا مولاى، لقد رأيتهما بعينىّ هاتين، بل ورأيت ما

: هو أكثر من ذلك..

الملك : ماذا رأيت؟

جلدنسترن : رأيت الممثلة تخرج من غرفتها التى تقيم بها مع زوجها العجوز، وتتسلل إلى غرفة زميلها الممثل، وكان ذلك عند منتصف الليل يا مولاى..

الملك : أشكرك يا جلدنسترن.. إذهب إلى عملك...

(جلدنسترن ينحنى ويخرج...)

الملك : إذن كيف يمكن للرجل العجوز أن يكون قد مات ميتة طبيعية؟، وكيف يمكن لهما أن يكونا بريئين من موته تماماً؟، حتى لو لم يقتلاه حقًا، فلاشك عندى أنهما كانا ينتويان قتله فعلاً، لكن يد القدر كانت أسرع إليه منهما... كم أحقد عليهما؟!، ولكن، ألا يمكن للقدر أن يكون قد سبقنى أنا أيضا وأجهز على أخى قبل ان تمتد يدى إليه؟!.. كيف لى أن أتيقّن من ذلك ونيّة القتل كانت تغشى عينىّ؟!... لن أطلق سراحهما، بل سأقتلهما.. سأثأر للرجل العجوز، عسى أن تهدأ روحه، وروحى أنا الآخر...

المشهد الثانى

(هاملت جالس على مقعد قبالة تمثال كبير لأبيه الملك الراحل.. يدخل هوراشيو...).

هوراشيو : سيدى..

هاملت : (لا يلتفت إليه ولا يجيب..).

هوراشيو : (يدنو منه) ماذا تفعل يا سيدى؟!

هاملت : كعادتى، أمارس حزنى...

هوراشيو : من أجل الرجل العجوز؟

هاملت : (لا يجيب..).

هوراشيو : لماذا تنظر إلى أبيك هكذا؟!

هاملت : ... لأ سأله، لماذا أذن لهما أن يقتلاه ثانية، رغم تحذيرى له؟

هوارشيو : ماذا؟!، لست أفهم...

هاملت : (يقف ويتحرك قليلاً مولياً ظهره لهوراشيو) أشعر بأن ما يحدث الآن أن هو إلا مسرحية من تأليفى، او قل ظلاً لحقيقة سبق لى معرفتها... كنت أعلم بأن الممثلة تخون زوجها مع الممثل، وكنت أعلم أيضا بأن الزوج يخطط لدفعهما إلى قتله.. فحاولت أن أبيّن لهم ذلك، وله على الاخص، كى يأخذ حذره، لكنه أبى إلا أن يقدم نفسه فداءا لخرافة اعتنقها ومسد روحه فيها إلى آخره...

هوراشيو : (يضحك...).

هاملت : ما الذى يضحكك؟!

هوراشيو : هل لديك حلوى؟

هاملت : هوراشيو؟!

هوراشيو : سيدى، لدى ما سيعيد الصفاء إلى نفسك، لكنى لن

هاملت : افعل قبل أن تحلّى لى فمى.

هاملت : ماذا لديك؟!

هوراشيو : سأخبرك، على أن تعدنى بأن تقدم لى الحلوى التى أشتهيها..

هاملت : أعدك...

هوراشيو : التقيت اليوم بالطبيب الذى أوقع الكشف على الجثة، ولشد ما ستذهلك النتيجة التى انتهى إليها...

هـامـلـت : ما هى؟!!، تكلم يا هوراشيو...

هوراشـيـو : لم يعثر الطبيب على أى أثر لمحاولة اعتداء قط، وهذا يعنى أن الممثل والممثلة بريئان تمامًا، ولقد تناهى ذلك إلى علم الملك ومن المنتظر أن يفرج عنهما إليوم...

هـامـلـت : (مندهشاً) ماذا؟!!.. ألم يقتلاه؟!، كيف مات إذن ؟!!

هوراشـيـو : من تلقاء نفسه...

هـامـلـت : أيعقل هذا؟!...

(هاملت يصمت مذهولاً، حزيناً..).

هوراشـيـو : كنت أظن بأن خبراً كهذا سيعيد إليك شيئاً من الصفاء، أم ترى أنك تتهّرب من وعدك لى بالحلوى؟!

هـامـلـت : (لا يجيب).

هوراشـيـو : سيدى، ماذا جرى؟!..

هـامـلـت : (لا يجيب).

هوراشـيـو : فيما تفكر؟!..

هـامـلـت : أفكرِ فيمن قتل الرجل العجوز..

هوراشـيـو : لم يقتَلٍ يا سيدى..

هـامـلـت : ... بل قتِل يا هوراشيو...

هوراشـيـو : وما قاله الطبيب؟!

هـامـلـت : هراء..

هوراشـيـو : من الذى قتله إذن؟!

هـامـلـت : ... أخشى أن أقول أنا..

هوراشـيـو : أنت؟!، ماذا تقول؟!.. كيف؟!!

هـامـلـت : هل تذكر حين سقط أثناء البروفة مغميا عليه؟

هوراشيو : نعم أذكر..

هاملت : هل تدرى لماذا سقط؟

هوراشيو : ربما بسبب الإجهاد أو بسبب... لا أدرى بالضبط، ولكن ماذا تقصد؟

هاملت : سقط الرجل لأننى أصبته فى مقتل يا هوراشيو، لقد عريته تماماً أمام نفسه وأمام غريميه..

هوراشيو : ماذا؟!، أذكر أنك كنت تحدثه عن أبيك لأنه كان يلعب دوره..

هاملت : نعم، كان يلعب دور أبى على المسرح، لكنه كان يكرر حياة أبى فى الحياة مستبدلاً زوجته وعشيقها الممثل بأمى وعمى، وقد أراد بموته على المسرح أن يحظى بميتة أبى فى الحياة، بالضبط، أراد أن يسمو بموته إلى مكانة الملك الذى ظل طول حياته يلعب دوره دون أن يكونه، وقد بلغ بالموت ما عجز عن بلوغه بالحياة..

هوراشيو : أنا لا أفهمك...!!

هاملت : لقد مات حين سقط أثناء البروفة ولم يكن العرض المسرحى سوى عرضاً لموته على الملأ... أنا الذى رشقت الخنجرين فى قلبه وأرهبت روحه فولّت هاربة..

هوراشيو : سيدى، رفقاً بنفسك هذه التى تقسو عليها دائماً..!!

هاملت : دعنى يا هوراشيو، دعنى.. دعنى أطارد الأقنعة، كل الاقنعة... وأنتزع قناع الفضيلة الذى ارتديته كثيراً حتى صار جزءاً من وجهى وما أنا غير قاتل بغيض...

هوراشيـو : أنا لا أفهم شيئا مما تقول!!

هـاملـت : من الصعب عليّ أن أشرح لك، لكننى قاتل، هذه هى الحقيقة...

هوراشيـو : قاتل قاتل!!، بأى معنى يا سيدى؟!..

هـاملـت : بعدما عرّيته وأظهرت له ما كان يخفيه فى نفسه، اعتقد بأن زوجته وعشيقها سيأخذأن حذرهما، ولن يتورطا فى قتله أبداً، وبذا فقد الشهادة التى كان يريد أن يختتم حياته بها، لذا قررأن يحمل نفسه بنفسه إلى الموت، كالمنتحر وما هو بمنتحر، وتوقف عن الحياة... ومن ناحية اخرى، فقد أدخلت الوهم إلى نفسه وحّولت زوجته وعشيقها ـ فى عينيه ـ إلى خنجرين مسنونين مصوبين إلى قلبه، يطاردأنه أينما ذهب، وموته على المسرح إنما جاء كنتيجة للهول الذى تفجّر فى نفسه عندما رأى الخنجرين يقتربأن منه.. وهكذا، فى الحالتين اختصرت الزمن وعجّلت بموت الرجل، رغم أننى أردت أن اضعهم جميعًا فى مواجهة أنفسهم، وفى مواجهة فعل القتل الذى نقادون إليه، عسى أن ابطله وامد فى حياة أبى التى أنقطعت فجأة...

هوراشيـو : سيدى، رفقاً بنفسك أرجوك وكف عن هذا اللغو...

هـاملـت : إرادة القتل التى فينا تفعل فعلها، ولا مهرب لنا، لا مفر... لو بمقدورى أن أقتل القتل؟!...

المشهد الثالث

(بولونيوس، أوفيليا...).

بولونيوس : يبدو أن الشمس التى أنتظرناها كثيراً أوشكت على الشروق يا ابنتى...

أوفيليا: أى شمس يا أبى؟

بولونيوس : أظن أن ابنتى الآن لم تعد صغيرة وأنها تفهم ما أرمى إليه...

أوفيليا : لا، لا أفهم شيئاً...

بولوفنيوس : بل تفهمين، وها هى الفرصة واتتك دون جهد منك، فهل ستدعينها تمر هكذا وأنت فى غرفتك منهمكة فى الخياطة؟!

أوفيليا : ماذا تعنى؟

بولونيوس : الملكة الآن تعانى سكرات الموت، وسيخلو مكانها قريباً..

أوفيليا : (لحظة صمت) وماذا يمكن لى أن أفعل؟

بولونيوس : تودّدى.إلى الملك، واملىء الفراغ الذى يهيم فيه وحيداً..

أوفيليا : أملأه بماذا يا أبى؟!.. أنا لا أجيد مثل هذه الأمور..

بولونيوس : المرأة أن أرادت شيئاً فلن تعدم الحيلة أبداً.

أوفيليا : لكننى...

بولونيوس : ماذا؟

(أوفيليا لا تجيب ويبدو عليها الارتباك والحيرة..)

بولونيـــوس : ألا تريدين أن يفــتــرش الناس الأرض تحت قــدمــيك كالتراب، بل كالدرج وتصعدين عليهم إلى قمة الصباح لتتخذين مكانك فى العلياء. بجوار الشمس؟، أتكرهين أن يتـدافع الناس بالمناكب ليتلقـفـوا الزفيـر الخارج من فمك ويعلقونه فى صدورهم نجوماً يحيون بضوئها...؟!

أوفــيليـــا : (بانفعال يبلغ حد الإرتجاف) لا، لا أريد...

بولونيـــوس: (مندهشاً) ماذا تريدين إذن؟!

أوفــيليـــا : لا أريد شيئاً..

بولونيـــوس: (مــســتــدركًـا) نعم؟!، ألـم يزل ذلك المخـبـول يسكن عقلك؟!

أوفــيليـــا : (لا تجيب..)

بولونيـــوس: ألم أمرك بالإمتناع عن مقابلته وصد رسائله؟

أوفــيليـــا : وقد فعلت...

بولونيـــوس: ماذا بقى إذن؟!

أوفــيليـــا : (لا تجيب).

بولونيـــوس : أتحبينه؟

أوفــيليـــا : (لا تجيب).

بولونيـــوس : ألا تستطيعين أن تكفّى عن هذا الحب؟

أوفــيليـــا : لا..

بولونيـــوس: ماذا؟!!

أوفــيليـــا : إن اســتطعت أن آمـــر قلبى بالكفّ عن ضخ الدم، استطعت أن آمره بالكفّ عن ترديد اسمه..

بولونيــوس : يا ابنتى هذه أوهام، مجرد أوهام، فقاقيع تطفو على السطح من قلب من هم فى مثل سنك، وتظنون بأنها حقائق تجرى مجرى الدم..

أوفــيليـــا : (بانفعال) بل هو أكثر حقيقة من الدم..

بولونيــوس : (بحّدة) أوفيليا؟!، آمرك بأن تكفّى عن هذا الحب، ستلقين بنا إلى الدرك الاسفل؟!

أوفــيليـــا : هاملت ليس فى الدرك الاسفل..

بولونيــوس : أليس مجنوناً؟!، ألم يدعوك إلى الفراش كالبغى؟!، ألا يسير عارياً فى الليل؟!، كل من فى القصر يتقولون عليه ويؤكدون أنه أصيب بالجنون، ما الذى يمكن أن تجنيه فتاة مثلك من رجل مريض كهذا؟!

أوفــيليـــا : ليس مريضاً..

بولونيــوس : بل مريض..

أوفــيليـــا : ليس مريضاً، وأنت الذى دفعت به إلى ما هو فيه بالصدود الذى أمرتنى أن ألقاه به، وسوف تدفع بى أنا ايضا إلى ما صار إليه..

بولونيــوس : أه يا فاجرة...؟!

أوفــيليـــا : (مستنكرة) أبى؟!..

بولونيــوس : أتريدين أن تضيّعى علينا ما انتظرناه طويلاً؟!،أترفضين التاج؟! كيف تدّعين إذن أنك شريفة وأنت تعرضين عن الشرف الذى لا يعلوه شرف آخر؟!، تكلّمى يا فاجرة (يمسك بها ويدفعها إلى الأرض بقوة، اوفيليا تصيح متألمة)... ستفعلين ما آمرك به، وستصيرين ملكة وسيصير أخوك وزيراً رغم أنفك...

المشهد الرابع

(الملك، الممثل، الممثلة، جلدنسترن...) .

الملك : أهذا هو وجهك الذى كأن لك قبل أن تقتل الرجل؟

(بقوة وثقة) هو وجهى كما عرفته وسيظل ولم اقتل أحداً..

الملك : أن شئتما أن أطلق سراحكما أجيبانى كيف قتلتماه؟

الممثل : لم نقتله..

الملك : كيف مات إذن؟!

الممثل : لا علم لنا..

الملك : تبدو قوياً، ولأنك ممثل فليس من الصعب عليك أن تتخذ الهيئة التى تشاء، لكنى أعرف أنك كاذب..

الممثل : أنا لا أكذب..

الملك : أنت ممثل فقط، أليس كذلك؟، وما الفرق؟، أليس التمثيل هو فن الكذب؟!

الممثل : لا توجد علاقة بين التمثيل والكذب..

الملك : ها أنت تكذب..

الممثل : أنا لا أكذب..

الملك : أنت تكذب بقوة، ولا تستطيع ألا أن تكون كاذباً.. وحين تقف أمام الناس، فإنك تبدو لهم متقمصاً شخصية أخرى، غير شخصيتك الحقيقية، أى ترتدى قناعاً من صنع مؤلِّف حازق.. وما القناع سوى ذلك

الشخص الغائب الذى لم يتورّع المؤلف عن اتهامه بالخروج على القيم.. وما تفعله أنت حين تمثل، أى حين ترتدى هذا القناع وتستحضر الشخص الغائب، المتهم، الضال، فإنما تدلى ـ دون أن تدرى ـ بشهادتك عليه وتدينه.. وهكذا تؤّجر نفسك للشهادة على صدق وصحة رأى المؤّلف، على الرغم من أنك لم تر شيئاً، أليس كذلك؟!، أيها الممثل، ألست شاهد زور، ألست كاذب؟!

الممثل : أنا أرى بأن...

الملك : لا، أنت لا ترى.. أنت ممثل فقط، والممثل أعمى.. المؤّلف هو الذى يرى.. ولم ترق منه نقطة دم واحدة، يالك من داهية؟!، كيف تم لك ذلك؟!

الممثل : تقر بأننى طعنته بالخنجرين، وتقر بأننى لم أرق منه نقطة دم واحدة، ألا يعنى هذا أنك تتناسى أننى كنت أمثل دوراً وأنك تتحدث عن حادثة أخرى؟!

الملك : ماذا؟!، وماذا تكون تلك الحادثة؟!

الممثل : لماذا لا تريد أن تصدق انه مات ميتة طبيعية؟، وأن هذه ليست الحادثة الأولى من نوعها؟، وأن تاريخ المسرح الطويل قد شهد حوادث كثيرة مشابهة..

الملك : لم تجب عن سؤالى «ماهى الحادثة الأخرى» التى أتحدث عنها؟

الممثل : (مندهشاً ومرتبكاً) لا توجد حادثة محددة؟!..

المـلـك : (ينظر إلى عينىّ الممثل محاولاً سبر غورهما...) أيها الممثل البارع، ليس بمقدورك أن تتخلى عن القناع، ولن تنطلى علىّ أكاذيبك هذه .... أين خبأت الدم؟! (ينقض على الممثل ويفتح فمه عنوة) أرنى أسنانك؟!.. (ينظر بداخل فم الممثل ـ وهذا الأخير لا يتألم) جلدنسترن..

جلدنسترن : مولاى..

المـلـك : تعال، انظر..

(جلدنسترن يتقدم وينظر بداخل فم الممثل..).

المـلـك : ألا ترى الدم عالقاً بأسنانه؟

جلدنسترن : (مرتبكاً).. يبدو أنه يغسل أسنانه جيداً يا مولاى..

المـلـك : الدم لا يزول بالماء يا مغفل، انظر جيداً، إنها أسنان ممثل.. (جلدنسترن ينظر بداخل الفم..).

المـلـك : ماذا ترى؟

جلدنسترن : (أكثر ارتباكاً) كما ترى يا مولاى.. (الملك يترك الممثل... وينظر إليه ساخراً، ثم إلى الممثلة..).

المـلـك : بعدما تتزوجان، سيرى جثة الرجل العجوز راقدة إلى جواره على السرير.. (الممثلة يبدو عليها الخوف والفزع..).

المـلـك : (للممثل) ما الذى عاد عليك من قتل الرجل؟، هل غنمت امرأته؟، ربما لكنك خسرت، ما اسمك؟..

المـمـثل : روزنكرانتز..

الملك : هذا هو ما خسرته بالضبط... وحين ستنظر إلى المرآة ستري وجهاً آخر لا مثيل لقبحه يطل عليك، وستعرف أنه وجهك الجديد... جلدنسترن..

جلدنسترن : مولاى..

الملك : أذقهما ما لا يطيق الحجر، وإن لم يعترفا اقتلهما...

الممثلة : (متوسلة) مولاى...؟!

الملك : خذهما...

(جلدنسترن يقتادهما إلى الخارج..).

الممثلة : مولاى...؟!

الملك : (بمفرده)... فررت من النوم كى لا ألتقى بكلوديوس وبها، فإذا بهما يتسللان إلىّ فى يقظتى... ألا مفر؟!..

(تدخل أوفيليا، خائفة، مترددة، وتتسمّر فى مكانها ـ من الخارج يأتى صوت بولونيوس آمراً بهمس...).

بولونيوس : اقتربى منه ...!!..

(الملك يراها، يتهلل وجهه بشراً..).

الملك : أوفيليا؟!

أوفيليا : مولاى..

الملك : يا زهرتى الأخيرة.. سأهرب من العالم وأختبىء فيك..

أوفيليا : (متوترة) طوع أمرك يا مولاى..

الملك : ما من حديقة دخلتها حتى بحثت بين زهورها عنك، فى أى زهرة تختبئين؟ .. أم أن أباك يخبئوك منى؟

أوفيليا : لا يا مولاى..

الملـــــك : لماذا لا تأتين إلىّ كثيراً؟

أوفـــيليـــا : لأننى أدرك مشاغلك يا مولاى..

الملـــــك : مشاغلى!!، أوفيليا (ينتبه إلى الإسم فيردده بنشوة) أوفيليا، أوفيليا، أوفيليا... حين يتردّد هذا الإسم أمامى يبدو لى منساباً كأغنية لا نهاية لها...

أوفـــيليـــا : أشكرك يا مولاى...

الملـــــك : ودائماً حين أراك يتفجر الشعر فى قلبى وأصير تاجاً بلون العصافير على رأس الفضاء..

أوفـــيليـــا : أشكرك يا مولاى..

الملـــــك : ولست أدرى كيف لا يستحى الظلام من المرور على هذه الأرض وهو يعلم أنك تقيمين بها؟!، ألكى يحظى برؤياك أم لأنه بلا قلب؟!...

أوفـــيليـــا : أشكرك يا مولاى على هذا الإطراء..

الملـــــك : (ساخراً) أشكرك يا مولاى على هذا الإطراء!!، أهذا هو كل ما لديك؟!.. شكراً .. أوفيليا، ما قولك فى الشعر الأبيض؟، أيروق لك؟..

أوفـــيليـــا : بالطبع يا مولاى، إنه شارة الحكمة..
(الملك ينتظر أن تسترسل، لكنها تصمت...).

الملـــــك : ثم ماذا؟

أوفـــيليـــا : (لا تجيب..).

الملـــــك : أتحبين الحكمة؟

أوفـــيليـــا : أعتقد بأن أحداً لا يكره الحكمة..

الملك : أتحبين القراءة؟

أوفيليا : بالطبع..

الملك : لماذا؟

أوفيليا : لأن فوائدها لا تحصى.

الملك : (ينتظر أن تسترسل، لكنها تصمت..).

الملك : (وقد فاض به) ثم ماذا؟

أوفيليا : (مرتبكة) لست أفهم يا مولاى..!!

الملك : سمعت أن بك ميل لمن يكبرونك سناً..

أوفيليا : أنا !!، لا...

الملك : تميلين إلى من إذن؟

(أوفيليا يبدو عليها الخجل ولا تجيب..).

الملك : إلى من هم فى مثل سنك؟

أوفيليا : .. أعتقد بأن فى هذا ما لا ينافى الطبيعة...

الملك : الطبيعة... أحسنتي... (يبدو عليه الضيق الشديد) أحسنتي.. كدت أن أخنق الطبيعة بجموحى وشططى، لكنها أبت إلا أن تجرحنى بزهرة لأوفيليا.. ما الذى أتى بك إلىّ الآن؟

أوفيليا : أبى..

الملك : أبوك هو الذى أمرك بالحضور؟

أوفيليا : نعم..

الملك : لماذا؟

اوفيليا : قال لى بأن الملكة مريضة، وأن جلالتكم ربما تكونون بحاجة لمن يسرّى عنكم.

الملـــك : (لحظة صمت يبدو خلالها حانقاً بشدة) إذهبى..
(أوفيليا تنحنى وتخرج..).
إذهبى... كى لا أعتـدى على الطبيعـة... حتى أنت يا بولونيوس؟!...
(يخلع التاج وينظر إليه) ألم تخلق إلاّ لتوضع على رؤوس الذئاب؟!..

المشهد الخامس

(هاملت جالس إلى مائدة، منهمك فى الكتابة... يدخل الطبيب فى زى خادم يحمل الطعام، ويتجه إلى المائدة ويضع عليها الطعام، ثم يمعن النظر إلى الأوراق التى يسودها هاملت، هاملت لا يلتفت إليه ويظل مستغرقًا فى الكتابة... بعد حين، يقول ـ دون أن ينظر إليه...).

هاملت : ماذا تنتظر؟!، السمك لا يسبح فى حجرتى...
الطبيب : (مرتبكًا) هل تأمرنى بشىء يا سيدى؟
هاملت : صوتك غريب، وهذا لا يعنى أنك خادم قديم...
الطبيب : ماذا؟، نعم، نعم يا سيدى أنا..

هــامــلــت : من أين أتيت؟
الـطبـــيب : من المطبخ يا سيدى..
هــامــلــت : رائحتك أنبأتنى بذلك.. قل لى، من الذى أعد طعام الأمس؟
الـطبـــيب : الطهاة يا سيدى..
هــامــلــت : كأن له طعم النوم..
الـطبـــيب : الثوم؟!
هــامــلــت : النوم، النوم الطويل.. هل تطهونه ليلاً؟
الـطبـــيب : نعم هم عادة يبدأون الطهى فى الليل..
هــامــلــت : لقد خمّنت ذلك، لذا ظل إبليل مستيقظاً طول الليل، وحين طلع النهار لم يجد غير سمكتى لينام فيها..
الـطبـــيب : ماذا؟!، نعم نعم، هذا يحدث كثيراً يا سيدى..
هــامــلــت : وهذا إن كأن يعنى شيئاً فإنما يعنى أنكم بدلاً من أن تطهوا الطعام فى الليل، فانكم تخطئون وتطهون الليل فى الطعام...
الـطبـــيب : سنضع هذه الملاحظة نصب أعيننا يا سيدى.. (الطبيب يختلس النظر إلى الأوراق...).
هــامــلــت : إلى ما تنظر؟!، هذه مسرحية جديدة أكتبها...
الـطبـــيب : ما اسمها يا سيدى؟
هــامــلــت : «مصرع بولونيوس»..
الـطبـــيب : الوزير؟!
هــامــلــت : وهل يوجد لدينا كائن بولونيوس غيره؟

الطبـــيب : ولكن، كيف تتحدث عن مصرعه يا سيدى وهو لم يزل على قيد الحياة؟

هـامـلـت : (مندهشاً) ماذا تقول؟، أليس من الحقائق الثابتة أن الإنسـأن لا يكفيـه أن يكون بولونيـوس كى لا يلقى مصرعه؟..

الطبـــيب : ماذا؟!، نعم، نعم.. (يزدرد ريقه بصعوبة) نعم يا سيدى هذا من الحقائق الثابتة بالفعل.. وإن كنت لا أفهم شيئاً.

هـامـلـت : أنت لا تستطيع أن تفهم شيئاً لأنك من طول رقادك بداخل هذا الطبق (مشيراً إلى الطبق الموضوع فوق المائدة) صدّقت أنك سمكة، جرِّب واخرج من الطبق قليلاً وستجد أنك بدأت تفهم، .. جرِّب...

الطبـــيب : (خائفاً) سيدى؟!

هـامـلـت : هيا.. (يمسك بيده) سأساعدك، هيا.. (يجذبه) هيا، هيا، (الطبيب يتعثر ويسقط على الأرض) آ...ه، ها أنت سقطت من فوق المائدة ولن أستطيع أن آكلك، إنهض... (الطبيب ينهض مذعوراً..).

الطبـــيب : سيدى، أستميحك فى أن تأذن لى بالانصراف..

هـامـلـت : هكذا مبكراً؟!

الطبـــيب : لدىّ مشاغل كثيرة و ...

هـامـلـت : لك ما شئت، فهو خبر ساخن لاشك، وقد يفسد إذا مر الزمن، هيا، هيا..

الطبـــيب : (أكثر ذعراً، ينحنى وهو يخرج...) معذرة يا سيدى، معذرة.. معذرة...

هـامـلـت : (يقع بصره على الطعام فوق المائدة) المغفل، كأنه يرتدى قناعاً من السمك أزكم أنفى..

(يدخل جلدنسترن..).

جلدنسترن : سيدى، هل أرسلت فى طلبى؟

هـامـلـت : نعم، ويؤسفنى أن عينىّ ستتمرغان فى وجهك لبعض الوقت، ما اسمك؟

جلدنسترن : (لحظة صمت ينظر خلالها إليه مستاءاً) جلدنسترن...

جلدنسترن : معذرة، فقد سقط ..نك الشىء الذى قلته الآن بينما كنت أغسل أذنىّ ذات مرة..

هـامـلـت : (يبدو عليه الاستياء الشديد ولا يجيب).

جلدنسترن : قل لى، أين الممثل والممثلة؟

هـامـلـت : فى السجن يا سيدى..

جلدنسترن : لماذا؟!، ألم يقرر الطبيب الذى أوقع الكشف على الجثة أنهما بريئان؟!

هـامـلـت : نعم يا سيدى، لكن مولاى الملك لم يقرر إطلاق سراحهما بعد..

جادنسترن : لماذا؟!

هـامـلـت : لست أدرى...

جلدنسترن : إذهب إليه الآن واستصدر منه أمراً، واحضرهما إلىّ لأنهما سيعملان معى فى المسرحية الجديدة...

هـامـلـت : أمرك يا سيدى..

جلدنسترن : وقتك انتهى، هيا...

هـامـلـت : (جلدنسترن ينحنى ويخرج...)

المشهد السادس

(الملك، الطبيب...).

الملك : هذا ما كنت أخشاه دائماً، أن يجر علينا جنونه مالا تحمد عقباه..

الطبيب : مولاى، أخشى أن أكون قد أسأت التعبير، سمو الأمير لم يقل بأنه سيقتل الوزير، كل ما قاله بالضبط هو أنه كتب مسرحية عن مصرع الرجل..

الملك : ألا تعرب هذه المسرحية عن نيّته فى قتله؟

الطبيب : (هازاً كتفه) لا أستطيع أن أجزم بذلك، فحقيقة جنونه غريب، لم أصادف مثله من قبل، ومن الصعب عليّ أن أحدد ما يرمى إليه على وجه الدقة، غير ان منحاه، هذا يدل على كراهيته للرجل..

الملك : وما العمل إذن؟

الطبيب : دعه يا مولاى يقدم المسرحيات التى يريدها، ففضلا عن أن هذا سيسرّى عنه ويشغل وقته، فإنه حتما سيكشف لنا عما يفكر فيه..

الملك : أهذا ما تراه، أدعه يحوّل القصر إلى سيرك يرتع فيه المهرجون؟!

الطبيب : هذا رأيى يا مولاى، والرأى لكم..

(يدخل بولونيوس... ينحنى للملك..).

بولونيـــوس : مولاى الكريم..

المــــلـــك : سأفكر فيما قلت أيها الطبيب، انصرف الآن...

(الطبيب ينحنى ويخرج..).

المــــلـــك : أين أنت يا وزير؟!

بولونيـــوس : مشغول يا مولاى، والأعباء كثيرة كما تعلم...

المــــلـــك : أى أعباء تلك؟!

بولونيـــوس : أعباء المملكة يا مولاى..

المــــلـــك : ماذا؟!، أتعمل فى مملكة أخرى بعد الظهر يا وزير؟

بولونيـــوس : (يضحك..).

المــــلـــك : ما الذى يضحكك؟!

بولونيـــوس : معذرة يا مولاى..

المــــلـــك : أتوجد لدينا أعباء فى هذه المملكة؟!

بولونيـــوس : بالطبع يا مولاى..

المــــلـــك : هكذا؟!، والملك آخر من يعلم!!..

بولونيـــوس : مولاى، إن لم يقم وزيرك وخادمك المخلص بالتعامل مع مثل هذه الفقاقيع الصغيرة التى تطفو على سطح المملكة، فما جدواه إذن؟

المــــلـــك : نعم، ولكن هذا لا يعنى ان تغفل حقى كملك فى الإطلاع على ما يجرى..

بولونيـــوس : إنها سفاسف يا مولاى، مجرد سفاسف ولم أشأ أن أعكر صفو جلالتكم بها...

المــــلـــك : ما الأمر؟

بولونيـــوس : رجل قرر أن يتنازل للفلاحين الذين يعملون عنده، عن الأراضى الشاسعة التى يملكها، فثارت ثائرة ورثته ودب النزاع بينهم وانتهى الأمر الى القضاء، وأراد القضاة أن يطلعوا جلالتكم على الأمر لتقرروا بشأنه ما يجب أن يكون، لكننى تدخّلت ولازلت أبذل مسعاى لإقناع الرجل بالعدول عن موقفه..

المـــلـــك : وما الذى انتهى إليه مسعاك؟

بولونيـــوس : لا زال الرجل يتشبث بموقفه يا مولاى..

المـــلـــك : من يكون هذا الرجل؟

بولونيـــوس : الكونت كورنيليوس..

المـــلـــك : كورنيليوس؟!، ذلك العلّامة المبجل؟!

بولونيـــوس : هو بعينه يا مولاى، ويبدو أن إقامته الدائمة بين الكتب وإفراطه فى الإطلاع عليها قد أودى بعقله..

المـــلـــك : وما أدراك؟!

بولونيـــوس : إضاعته لما بين يديه من أراض يؤكد ذلك يا مولاى...

المـــلـــك : لا لا، من حق الرجل أن يقرر مصيره بنفسه دونما اعتبار لأحد، إنها ممتلكاته وإن قرر تبديدها فهذا شأنه..

بولونيـــوس : معنى الثروة مملوك للمجتمع لا للفرد، وما يملكه الكونت إن هو إلاّ إرث عائلى صار له بعد رحيل أبويه، ويجب أن يصير لمن سيأتون من بعده، أعنى أنه مجرد حارس على إرث قديم توارثته عائلته منذ زمن بعيد، لذا فهو لا يستمتع بالثروة لنفسه، إنه يشرف عليها فقط لحساب المجتمع، ونتيجة لذلك فقد سخط عليه النبلاء..

الملك : للرجل مطلق الحرية فى أن يفعل ما يشاء، لكن الحرية عدو للنبلاء لإن كل ما يتمتعون به من إمتيازات يعود إلى المولد فقط..

بولونيوس : الله هو الذى قرّر لهم هذه الثروة قبل أن يولدوا، ومعارضة ذلك تجديف..

الملك : من حق الفرد أن يؤمن بما يصدقه هو، من حقه أن يسمى لا لإرضاء ذاته لإرضاء المجتمع.

بولونيوس : إن ما يفعله الكونت لم يسمع به أحد من قبل، وقد جرت العادة على ألاّ يفرّط الناس هكذا فيما يمتلكونه من أراض هى سبب رفعتهم وعلو شأنهم..

الملك : علو شأنهم هذا يعود إلى ما حازوا عليه من أرض بحكم مولدهم، ولقد أضفوا إمتيازاً مقدساً على هذا الوضع كى يحتفظوا به إلى الأبد.. ولقد أدرك الكونت ذلك، وأراد أن يطيح بتلك العادة القديمة كى يحطم قاعدة أن المولد هو الذى يحد مصير الإنسان، فالإنسان لا يصنعه إلاّ نفسه، الإنسان هو الذى يقرر مصيره بيده، وهذا ما يجب أن يكون..

بولونيوس : مولاى، هذا سيطيح بكل ما توارثناه عن أسلافنا؟!

الملك : هذا الذى توارثناه عن أسلافنا لماذا يجب أن يستمر؟، أيها الوزير، ألا تعلم أن التجارة راكدة وكذلك الصناعة والبضائع فى الأسواق تبحث عمنٌ يشتريها، إن السبب فى هذا الركود يرجع الى الفقر الذى يعانى منه الشعب وأن هذا الفقر يعود إلى احتكار النبلاء للثروة؟.. الإمتياز

المقدس المرتبط بالمولد ـ ذلك الذى خلّفه لنا الأسلاف ـ لم يعد له الأن ما يبرره، لقد أصبح عقبة فى سبيل القضاء على الركود الذى نعانى منه..

بولونيـــوس : مولاى، اخشى أن يؤدى هذا إلى تقويض المجتمع كله، فما توارثناه هو الأساس الذى تقدم عليه حياتنا..

المـــلـــك : هذا الذى توارثناه لا يستند إلى شىء سوى الى جمجمة مر صاحبها على هذه الأرض قبلنا ولوّثها بفسائه..

بولونيـــوس : ماذا ؟!!...

المـــلـــك : إن ما توارثناه ليس سوى فراغ أسود مختال، وها نحن نتخبّط فيه كالعميان، إنه أسياج سميكة ممتدة إلى آخر وجودنا الحزين.. أمن الحكمة ألاّ نصدق أنفسنا أبداً؟!، أى حكمة تلك التى تغرض علينا أن نعمل لإرضاء الموتى؟!، لماذا يجب علينا دائما أن نقتطع من أعمارنا ما نمد به أعمار من وافتهم المنيّة؟، لماذا يجب أن نبيع أجسادنا لمن سبقونا كى يستكملوا بها حياة انقطعوا عنها ولن يعودوا إليها أبداً؟، إين نحن إذن؟!، متى لا يصبح المرء غير نفسه ويعيد النظر فيما تسلّمه من إرث عتيق؟، ألا يحق لى حين أرث بيتا عن أبى، أن أعيد بناءه وترتيب أشيائه كما يتراءى لى؟!... على الموتى ان يكتفوا بموتهم، وعلينا ألاّ نصم آذاننا إذا ما أعلن أحدنا عن موت الميت وعن حياة الحى. علينا ان نكفّ عن إماتة الأحياء وإحياء الموتى.. دعوا الرجل يخرج من القبر الذى تعيشون فيه، مادام قد قرر الخروج...

بولونيـــوس : الأمر لك يا مولاى..

(لحظة صمت..).

المـــلـــك : قل لى، ماسر هذه الكراهية المستحكمة بينك وبين هاملت؟

بولونيـــوس : حاشا لله يا مولاى أن أكون قد كرهته، ويعلم الله أن مكانته فى نفسى لا تقل عن مكانة لا يرتس بل تزيد كثيراً...

المـــلـــك : ما الأمر إذن؟!

بولونيـــوس : لعل ما أوغر صدره علىّ يا مولاى هو اعتقاده بأننى أقف وراء إعراض ابنتى عنه، والله يعلم كم بذلت لأجله..

(يدخل جلدنسترن..).

جلدنســترن : مولاى...

المـــلـــك : ماذا يا جلدنسترن؟

جلدنســترن : هناك أمر عاجل يا مولاى..

(الملك ينظر إلى بولونيوس، وهذا الأخير يفهم مقصد الملك..).

بولونيـــوس : مولاى..

(ينحنى ويخرج..).

جلدنســترن : مولاى، الأمير هاملت يسأل عن الممثل والممثلة ويريد أن يعملا معه فى مسرحيته الجديدة، ويقول لماذا لم يطلَق سراحهما طالما أنهما بريئان؟

المـــلـــك : وأين هما الآن؟

جلدنســترن : فى السجن يا مولاى..

الملك : (لحظة صمت) إطلق سراحهما، ودعهما يعملان معه..

جلدنسترن: (ينظر إلى الملك مدهوشاً، ثم..) أمرك يا مولاى..

الملك: وأمر الممثلة أن تتجسس على هاملت، وحذار أن يعلم الممثل بذلك..

جلدنسترن: أمرك يا مولاى..

(جلدنسترن ينحنى ويخرج..).

المشهد السابع

(أوفيليا تروح وتجيء قلقة... يدخل هوراشيو..).

هوراشيو : سيدتى...

أوفيليا : هو راشيو، لماذا تأخرت؟!..

هوراشيو : .. هل تأخرت؟!، معذرة لتأخرى..

أوفيليا : كيف حال هاملت؟

هوراشيو : بخير يا سيدتى إطمئنى..

أوفيليا : هوراشيو..

هوراشيو : ماذا يا سيدتى؟

أوفـــيليـــا : ماذا جرى له؟

هوراشـــيـــو : لا شيء..

أوفـــيليـــا : لا تقل لا شيء، أنا أعرف أنك صديقه ومستودع أسراره، إخبرني ماذا جرى؟

هوراشـــيـــو : لا شيء يا سيدتي..

أوفـــيليـــا : يو... وه؟!، هوراشيو، أرجوك، أنا لا أنام... (دموعها تسيل) وقلبي محزون..

هوراشـــيـــو : (متألماً) سيدتي؟!، لِم البكاء؟!..

(أوفيليا تبكي بحرقة وتئن...).

هوراشـــيـــو : تلك الأرض المستديرة، تبدو لي دمعةً واحدة من عينيك، لماذا يقسو عليها هكذا؟!... سيدتي، لو أعطيتك روحي هل تكفّين عن البكاء؟..

أوفـــيليـــا : لماذا عاب عنّي بكل هذا العنف؟!

هوراشـــيـــو : (متألماً، لا يجيب..).

أوفـــيليـــا : أتوسل إليك، قل لي، ماذا جرى له؟، هل شرد قلبه مني؟!..

هوراشـــيـــو : (لا يجيب).

أوفـــيليـــا : لم أزل في الليل، أقطع الليل كي أصل إلى نجمة واحدة منه، وكي أسرق من القمر عينيه حين تنظران اليه.. لكن الليالي تفضي إلى نفسها دائماً، ليال لا تبتدىء ولا تنتهي، أبداً، إنها منفى، منفى إضطررت إليه لأبحث عن هاملت، وأين هاملت؟!، عبرت حدائق القصر، كل

الحدائق، وسألت الورود، وردة وردة، فلم تنبئنى...
(هوراشيو يوليها ظهره متألماً...).

أوفـــيليـــا : هل جن حقاً؟، هل جن لأجلى؟..

هوراشـيــو : (لا يجيب).

أوفـــيليـــا : (صائحة بحدة) أجب...؟!

هوراشـيــو : كنت أتمنى أن أستطيع مساعدتك يا سيدتى لكننى...

أوفـــيليـــا : تستطيع إن أردت...

هوراشـيــو : لا، لا أستطيع، وكل ما يمكننى قوله هو أنه بخير..

أوفـــيليـــا : بخير!!، كيف؟!

هوراشـيــو : إطمئنى...

أوفـــيليـــا : ألم يزل يحبنى؟

هوراشـيــو : .. أعتقد هذا..

أوفـــيليـــا : (مبتهجة) هوراشيو، أحقاً ما تقول؟!!

هوراشـيــو : ليس هناك ما يدعونى للكذب..

أوفـــيليـــا : إخبره بأننى أحبه، وبأننى أنتظر أن يعوضنى عن الوفاة التى أعيشها بابتعاده عنى..

هوراشـيــو : سأفعل يا سيدتى..
(ينحنى ويهم بالانصراف...).

أوفـــيليـــا: هوراشيو، وأخبره بأنه يجب أن يزور أمه الراقدة فى فراشها تهذى باسمه.. (هوراشيو ينظر إليها متألماً...).

المشهد الثامن

(هاملت والممثلون...).

هاملت : سأمثّل معكم في هذه المسرحية...

(الممثلون ينظرون إليه مدهوشين..).

ممثل : ستمثل معنا يا سيدى؟!

هاملت : نعم...

ممثل : أعنى هل ستقف ـ سموكم ـ إلى جوارنا على خشبة المسرح؟

هاملت : يقينا ليس فوقكم أو تحتكم...

(الممثلون ينظرون إلى بعضهم مدهوشين...).

هاملت : سأعد دهشتكم هذه تعبيراً عن ميلاد عصر جديد يجرِّب فيه الأمراء هوية لم تكن لهم من قبل... نعود إلى المسرحية.. كما قلت، المسرحية التى سنقدمها هى الجزء التالى لما سبق أن قدمناه من قبل (للممثل والممثلة) والآن، لقد صار لكما ما سعيتما اليه، غير انكما تعملا حساب الأمير ملكولم ـ أبن الملك الذى قتلتماه واستوليتما على عرشه ـ وظننتما أن أكاذيبكما ستنطلى عليه هو الآخر مثل الجميع.. لكنه قطع دراسته وعاد إلى المملكة، وحينما أعمل عقله استطاع أن يرى

الحقيقة عارية، وصار محتمًا عليه ان ينتقم لأبيه، لكنه قرر ـ قبل ان يسفك دم أحد ـ أن يتيقّن اولاً مما اهتدى اليه.. فادعى الجنون، وبدأت شجرة الجنون التى غرسها فى القصر تنمو وتثمر ما كان يتوق إليه (للممثلة) تعالى يا مليكتى (الممثلة تقترب منه).. كى يذيب الوهج المنبعث من عقل ملكولم كل ما تسترين به جريمتك الحمقاء... هاهو مخدعك، اجلسى...

(الممثلة تجلس على المخدع الملكى وفى يدها نسخة من الدور الذى ستمثله...).

هاملت : أنت الآن فى انتظاره، مستعدة؟

الممثلة : نعم يا سيدى..

هاملت : (فى دور ملكولم، يمثل الدخول) أماه...

ممثلة الملكة : تعال يا ملكولم.

ممثل ملكولم : هل تجلسين بمفردك؟...

ممثلة الملكة : كما ترى، بمفردى...

ممثل ملكولم : علىّ أن أفتش الهواء قبل أن أصدق ما تقولين..

ممثلة الملكة : ماذا؟!، ماذا تقول؟!

ممثل ملكولم : هل قلت الهواء؟، لا يا سيدتى لم أقصد هذا بل قصدت شيئاً آخر، أظنه جسدك..

ممثلة الملكة : ماذا؟!

ممثل ملكولم : علىّ أن أفتش جسدك، كم رجلاً سأحصى تحت نهدك؟

ممثلة الملكة : ملكولم؟!، أنسيت من أنا؟!

ممثل ملكولم: لا وربىّ ما نسيت، إنما أنت الملكة وزوجة أخى زوجك، ثم أنت أمى، وليتك لم تكونى...

ممثلة الملكة : ماذا؟!، أجننت؟!!

ممثل ملكولم : تعلمين أن المملكة بأسرها لا تزيد عن بعوضة هائمة خارج عقلى...

ممثلة الملكة : كيف إذن على التحدث إلىّ بهذا اللسان القذر؟!

ممثل ملكولم : هكذا علمتنى المرأة التى قامت بتربيتى، ولا حيلة لى فى ذلك..

ممثلة الملكة : لقد جننت حقاً، جننت، جننت... (تبكى).

ممثل ملكولم : أتبكين؟!، آه يا دموع... لقد أتعبتك هذه المرأة معها بما يكفى، أماه.. دعى الدموع وشأنها، فهى الطفلة الوحيدة التى لا تنخدع بحلاوة عينى العجوز المتصابية...

ممثلة الملكة: أنت وقح...

ممثل ملكولم : انا مصاب بك، قدماك والقبر، غير أنك أبيتى إلاّ أن تدفعى بى إليه، كى أجرع ما تبقى لى من نفسى فى جمجمة أبى...

ممثلة الملكة : أبوك؟!..

ممثل ملكولم : ظننتما أن أكاذيبكما الساذجة بشأن حارسيه ستنطلى علىّ، وما قتله غير الخنجر الذى تزوجتى صاحبة وارتضيتى له التاج ثمنا..

ممثلة الملكة : (مضطربة) ماذا؟!، وما أدراك؟!

ممثل ملكولم : عقلى...

ممثلة الملكة : مجنون، أنت مجنون؟!

ممثل ملكولم : (ينقض عليها ويمسك ذراعها بقوة) بل أنت المجنونة، أغشيت عينيه ببريق التاج وجررته إلى الفراش لتمتصّى رجولته كما امتصصت رجولة أبى من قبل، وما أنت بانثى، أنت اسفنجة شائهة، أنت دودة وفراشك قبر، وما أبى وعمّى سوى موتى تتغذين عليهما، هذه حقيقتك، انظرى إلى المرآة، سترين أفعى راقدة بين الجواهر التى سلبتها من الجثث، لقد شاخ عمّى وصار أشبه بأبى فى غضون اشهر من زواجه بك رغم أنه يصغرك بخمسة عشر عاما؟!.. (يقذف بها إلى المخدع..).

ممثلة الملكة : (متألمة) آ......ه.. (تصيح) النجدة، النجدة...

(هاملت يخرج على دوره ويخاطب الممثلين..).

هاملت : أين الممثل الذى يلعب دور بولونيوس؟

ممثل ٢ : أنا يا سيدى..

هاملت : تعال، قف هنا خلف الستارة وارتجف (يشير إليه بالوقوف على مسافة مناسبة) (ممثل ٢ يقف فى المكأن الذى أشار إليه هاملت، ويفرد ستارة حمراء ـ يمسك فها العلوى بيديه ـ ويقف خلفها ويرتجف..).

ممثل بولونيوس: (يصيح) النجدة، النجدة، أغيثونا...

(ممثل ملكولم يستل سيفه ويندفع إليه ويطعنه عدّة طعنات نافذة..).

ممثل بولونيوس: (يتأوه) آ....ه...

(ثم يسقط على الأرض ميتاً..).

ممثلة الملكة : (صائحة) ويلي؟!، ماذا فعلت؟!!

(ممثل ملكولم يزيح الستارة عن وجه الجثة).

ممثل ملكولم : من؟!، بولونيوس؟!، (يتجه ثائراً إلى ممثلة الملكة) حتى الفئرأن لا تعتقين ذيولها..؟!

ممثلة الملكة : (صائحة بغضب شديد) أنت مجنون، مجنون؟!

ممثل ملكولم : فاجرة!.

ممثلة الملكة : مجنون!.

ممثل ملكولم: فاجرة!.

ممثلة الملكة : مجنون!.

(هاملت يرفع سيفه إلى أعلى ويكاد أن يهوى به عليها، روزنكرا نتز والممثل ١ يبادرأن إليه ..).

كلاهما : (صائحان) سيدى؟!..

(ويحولان بينه وبينها ـ هذا بينما تكون هى قد هبطت إلى اسفل رافعة يديها إلى أعلى، مرتعبة... هاملت ينظر إليهم خجلا، ممثل ٢ ـ ممثل بولونيوس ـ ينهض وينظر إليهم مندهشاً... هاملت يخرج مسرعا... الممثلة تنهض وهى ممسكة بذراعها، متألمة، وتنهار على المخدع...).

الممثلة : آه...

الممثلون : ماذا؟!، هل أصابك بسوء؟!..

الممثلة : كاد أن يخلع ذراعى؟!، إنظروا.. غرس أصابعه فى لحمى..

روزنكرانتــز : هذه التهابات بسيطة وستزول الآن..

ممــثـــل ٢ : والله لولا الستـارة لكانت أحـشـائى الآن أمـامكـم على الأرض..

ممــثـــل ١ : حقاً؟!

ممــثـــل ٢ : نعم..

روزنكرانتــز : هو غشيم لاشك ولا دراية له بفن التمثيل..

الممـــثلة : انا لـم أعـد أدرى مـا إذا كـأن مـا نفـعله مـجرد تمثـيل أم حقيقة؟!..

روزنكرانتــز : .. هو قصر غريب، أشبه بقصر الأشباح، وحين واتتنا الدعوة للعمل فيه، داخلنى الخوف والقلق، رغم تظاهرى بالفرح..

ممــثـــل ١ : كلنا منينا أنفسنا بالعطايا..

ممــثـــل ٢ : سأذهب لأستريح، فانا متعب..

ممــثـــل ١ : خذنى معك..

ممــثـــل ٢ : هيا..

(يخرجان..).

الممـــثلة : روزنكرانتز، أنا خـائفـة، وأخـشى أن يقـتلنى هـذا الأمـيـر المجنون..

روزنكرانتــز : يبدو أن هذا القصر هو المقبرة التى لن نخرج منها أبداً...

(ترتمى على صدره وتبكى..).

المشهد التاسع

(الملك، الملكة، بولونيوس، جلدنسترن، الطبيب... يدخلون وهم يضحكون..).

الملك : (يضحكون بصوت مرتفع) أخيراً لقيت مصرعك يا وزير، أنت الوحيد الذى لقيت مصرعك وأنت على قيد الحياة، ولكن هل ستشترك معنا فى الجنازة بنسختين من فأر واحد؟!..

(يضحكون..).

بولونيوس : هكذا أراد لى الأمير يا مولاى..

الملك : لكن لماذا لا يرى منك غير أذنيك الطويلتين؟

بولونيوس : تُسأل عن ذلك عيناه يا مولاى فدائمًا تتطاولان علىّ وتشدانى من أذنىّ.. (يضحكون..).

الملك : أخشى أن يدل القطط عليك يا بولونيوس، فاخف ذيلك..

(يضحكون..).

الملكة : لقد أضحكتمونى الليلة كما لم أضحك من قبل أبداً..

الملك : نعم، ولم أكن أعرف أنه خفيف الظل إلى هذا الحد..

بولونيوس : سعادتى لا توصف الليلة يا مولاى، مادام أمرى قد أصبح مصدراً لسعادتكم ولسعادة مولاتى، مولاتى كم أنت

مضيئة، ويبدو لى أن شمسك الباهرة خزلت المرض إلى الأبد..

الملكة : أشكرك يا وزير..

بولونيوس : مولاى، يبدو أن للسن أحكامها حقاً، وكم كأن بوّدى أن أسهر معكم، لكنى متوعك الليلة، فمعذرة..

الملك : جلدنسترن..

جلدنسترن : مولاى..

الملك : رافق الوزير بنفسك إلى باب غرفته، ولا تتركه حتى تطمئن عليه ثم ارجع على الفور..

جلدنسترن : أمرك يا مولاى..

بولونيوس : شكراً يا مولاى..

(بولونيوس ينحنى ويخرج يتبعه جلدنسترن..) .

الملك : والآن ما قولك أيها الطبيب فيما رأيناه الليلة؟

الطبيب : هو ممثل بارع لا شك يا مولاى..

الملك : نعم، نعم..

الملكة : أتقول نعم؟!، كيف ترضى أن يعمل الأمير مهرجًا؟!، أليس فى هذا ما يحط من قدرنا؟

الطبيب : مولاتى، إنه يلعب، يلهو، لا أكثر، يمرح ويبكى ويصيح وينفث عما يعتمل فى نفسه، كل هذا دخل جدرأن القصر، ولن يعلم أحد بذلك أُبدا..

الملكة : أهذا هو العلاج الذى تراه للأمير؟

الطبيب : نعم يا مولاتى، فالمسرح يطّهر نفسه ويريح أعصابه ويجعله يتخلص مما يزعجه، دعوه يفعل ما يريد ولا تتدخّلوا، هذا

علاج انفع وأنجح من أى علاج آخر، ثم الم يُضْفى فعله هذا البهجة على القصر؟

الملكة : نعم، لكننى أريد القس الورع كى يعد لنا الرقى والتعاويز التى اعتدنا عليها، فهذا أفضل عندى من علاجك هذا الذى لم أسمع به من قبل أبداً..

الملك : يا عزيزتى، لقد اقتلعنا بوابة القصر من ذاكرة القس ولن يعرف الطريق إلى هنا أبداً، فدعينا نجرب ما يقترحه الطبيب ولن نخسر شيئاً..

الملكة : (يبدو عليها التعب فجأة..) مولاى..!

الملك : ماذا يا جرترود؟!

الملكة : لقد ادركنى التعب فجأة، سأذهب إلى غرفتى..

الملك : سيرافقك الطبيب إلى غرفتك، وسأتبعك بعد قليل..
(يخرجان.. يدخل جلدنسترن..).

جلدنسترن : مولاى..

لملك : هل تريد أن تصير وزيرا يا جلدنسترن؟

جلدنسترن : (مبتهجًا فجأة) ومن يستطيع أن يرفض شرفًا كهذا يامولاى؟

الملك : إذن تأهب لذلك..

جلدنسترن : نعم ولكن..

الملك : خلّصنى منه..

جلدنسترن : ممن يا مولاى؟

المـلـك : من بولونيوس..
(ينظر إليه مندهشاً، واجماً..).

جلدنسترن : أنا بحاجة إليك أنت لا إلى عجوز خرف.. (يربت على كتفه) غداً سأدلك على الطريقة التى ستقتله بها..
(الملك يتركه ويمضى فى طريقه إلى الخروج، جلدنسترن يظل ينظر إليه حتى يخرج..).

المشهد العاشر

(هوراشيو وهاملت يدخلأن ...).

هوراشيو : وأوصتنى يا سيدى أن أخبرك بأنها تنتظر أن تعوضها عن الوفاة التى تعيشها بابتعادك عنها...

هاملت : (يضحك بشدة) ياللنساء!!، يردن أن يتقاضين أجراً عن موتهن المزعوم؟!

هوراشيو : سيدى، إنها تحبك..

هاملت : تماماً كما تحب الدودة أن تأكل الموتى..

هوراشيو : (مستنكراً بشدّة) سيدى!!

هاملت : لم تخلق بعد تلك المرأة التى باستطاعتها أن تحب الرجل..

هوراشيو : وبماذا تسّمى معاناتها و ...

هــامــلــت : سمّها ما شئت وقل لى، هل لقى الكونت كورنيليوس مصرعه على أيدى ورثته أم أنه مازال ينتظر؟

هوراشــيــو : ماذا؟!، هل شملته نظريته هو الآخر؟!

هــامــلــت : نعم، لقد أراد أن يضع حداً لحياته، وحين بحث فيمن حوله، لم يجد من هم أهلاً للقيام بهذه المهمة غير من ستؤول إليهم ثروته، فقرر اختصار الزمن بأن لوح لهم أنه سيمنح الثروة للفلاحين، وفى الحقيقة هو يدلهّم على أقصر الطرق للوصول إلى الثروة التى يريدونها..

هوراشــيــو : تقصد أنه أراد أن يدفع لهم الثروة ثمنا لموته؟

هــامــلــت : لا، بل اراد أن يدفعوا له الموت ثمناً للثروة التى ستؤول إليهم..

هوراشــيــو : وما الفرق؟!

هــامــلــت : الفرق كبير، فالانسان لا يعطى أبداً، وإن أعطى فعادة ما يعطى أقل القليل، فى مقابل أن يأخذ الكثير والكثير.. وصديقنا الكونت حين قرر أن يموت، فإن رغبته فى الموت حلّت محل رغبته فى المال، وبذا لم يعد للمال ـ لديه ـ قيمة تذكر، لقد استأثر الموت بالقيمة العظمى التى لا تعادلها قيمة أخرى..

هوراشــيــو : وهل ينطوى الموت على قيمة يا سيدى؟!

هــامــلــت : بالطبع، أنه ينطوى على أعظم القيم جميعاً..

هواشــيــو : وما هى؟!

هــامــلــت : الخلود، الخلود يا هوراشيو.. إنه النشيد الذى لا يمل الانسان ترديده أبداً فى حلمه بحياةلا آخر لها.. ولقد

اخترع وسائل كثيرة لكى يبلغ غايته تلك، ومن بينها العالم الآخر، لكن الموت قتلاً غالبا ما يكون هو الباب الملكى للخلود، ولك فى شهداء الحروب خير دليل، فالكثيرون منهم يذهبون إلى ميدان القتال ويستشهدون دفاعا عن الوطن، أمّا عن الكونت، فحريته فى أن يتصرف بملىء إرادته فيما يملك ، وهى وطنه الجديد الذى يتمنى أن يستشهد دفاعاً عنه..

هواشيو : وماذا لو أنتصر الجندى أو الكونت ولم يستشهد؟

هاملت : سنصنع له تمثالا ويخلده التاريخ بوصفه بطلاً استطاع أن ينتصر لوطنه...

هوراشيو : أمن أجل الخلود ـ بوصفه حياة لا أخر لها ـ يسعى الإنسان إلى الموت؟!..

هاملت : نعم، الإنسان الخالد يقيم تمثال خلوده على قاعدة الحياة الصلبة ويجعل من الموت حائطا رخوايستند إليه.. فالموت هنا يصبح وسيلة الإنسان للإنعتاق من الحياة المؤقتة إلى الحياة الأبدية...

هوراشيو : ولكن ألا يصبح الإنسان بهذا عميلاً للشر؟!

هاملت : أحيأنًا، وليس فى هذا ما يشين، فالأشرار هم الذين يصنعون التاريخ..

هوراشيو : الأشرار؟!

هاملت : كتابتى للمسرح هى التى أرشدتنى إلى تلك الحقيقة، فالشخصيات الشريرة هى التى تحرك الأحداث وتصنع

الدراما، ولو استبدلناها بأخرى خيِّرة، سنجد أن الدراما أن تفت تماماً وسينتهى المسرح..

هوراشيو : سيدى، ألا ترى معى بأن هذا وإن كأن يصدق على المسرح إلا أنه لا يصدق بالضرورة على التاريخ؟

هملت : وهل الفعل المسرحى إلاأفعل الإنسان فى التاريخ، الإنسان الساخط، الغاضب، المتمرد، الثائر على النظام والسنن والشرائع السائدة. وهو بفعله هذا يعد شريراً من وجهة نظر المجتمع، وهنا ينشب الصراع بينهما، وتتوالى الأحداث... وفى اللحظة التى ينتصر أو ينهزم فيها الشرير، يكون شيئ ما فى المجتمع قد تغير.. ياهور اشيو الأشرار ـ بكل ما جلبوا عليه من جرأة ـ هم الذين يدفون أرواحهم ثمنا للتطور ..

هوراشيو : هل افهم من هذا ياسيدى أنك تقف إلى جأن ب الكونت؟

هاملت : بالطبع ، وإن كنت أشفق عليه..

هوراشيو : ولهذا لم تشأ أن تقتص لأبيك من قاتله الذى تعرفه جيداً؟

هاملت : (لحظة صمت ينظر خلالها إليه مندهشاً..) ماذا!!، هذا لم يخطر ببالى من قبل أبداً... ولكن.. ماذا تقصد؟!

هوراشيو : لم تشأ أن تقتل الشرير الذى ثار على النظام الملكى وجعل من أبيك آخر الملوك الذين حكموا بالوراثة..

هاملت : ... ربما، لقد قرر النظام الملكى أن اخلف أبى بعد وفاته فى حكم البلاد، هكذا قبل أن أولد ـ كنبوءة الألهة

التى لا سبيل لردّها. غير أن نى لم أكن راغباً فى العرش، كنت اريد أن اصير كالكونت كورنيليوس، عالماً مبجلا، أضىء وأظل أضىء فى سما العقل إلى الابد، وهكذا، لم تكن بى رغبة فى أن أدفن فى سجل وفيّات الملوك الذى يسمونه خطأ بتاريخ الامم.. ولا اخفى أن نى استرحت كثيرا حين قام عمى باعتلاء العرش بدلا منى...

هوراشيو : لأنه حرر الناس من رجل قُدّر عليهم أن يأتمروا بأمر رغما عنهم..

هاملت : بل لأنه حرر الرجل من أن اس قُدّر عليه أن يأمرهم فيعلمونه رغما عنه..

هوراشيو : هل تعرف أن عامة الشعب كأن وا يريدونك أن ت ـ وليس عمك ـ ملكا عليهم بعد ابيك؟

هاملت : اعرف...

هوراشيو : لكنك صممت اذنيك عن ذلك، اذ لم تشأ أن تصير جزءا من نبوءة لم تنعلق بها الالهة..

هاملت : غير أنه بقتله لأبى القى على عاتقى عبئا اش ثقلا، اذ تحتم علىّ أن اقتله..

هوراشيو : والآن تقف عذر مفترق الطرق، ولا تعرف إلى أين ستمضى بك الاحداث..

(فى خلفية المسرح، جلدنسترن يطعن بولونيوس بنفس الطريقة التى طعن بها ملكولم ممثل بولونيوس ـ فى

المسرحية الداخلية ـ بولونيوس يسقط على الأرض ميتا، بينما جلدنسترن يفرهاربا...).

إظلام

الفصل الثالث

المشهد الأول

(الملك، أوفيليا حزينة فى ثوب أسود، جلدنسترن، طبيب الملكة، الحاشية..).

الملك : يا ابنتى، أنت لا تعلمين مقدار الأسى الذى يعتصر قلوبنا، وكم يقصر الكلام عن أن يطول قامة حزننا عليه، ونحن نسأل، من أين لنا بمثله فى كمال إخلاصه ووفائه ونبله. وبقدر ما نعزّيك فى أبيك، فاننا نعزى أنفسنا فى وزيرنا، وهذا قضاء الله ولا ردّ لقضائه وإن كنا نسأله أن يلطف بنا ويعوضنا عنه.. ولك أن تعدينى من الآن فصاعداً أباً لك ولأخيك الحبيب لا يرتس، وقد أرسلنا فى استدعائه وأطلعناه على ما جرى، وسوف يعود إلى البلاد فى غضون أيام..

أوفيليا : (حزينة،صامتة..).

الملك : جلدنسترن..

جلدنسترن : مولاى...

الملك : رافقها إلى غرفتها، واسهر على راحتها، فحتى يعود لايرتس أنت فى مكانته..

جلدنسترن : أمرك يا مولاى..

(أوفيليا تمضى صامتة فى طريقها إلى الخروج، يتبعها جلدنسترن...).

الملك : ماذا عن الملكة أيها الطبيب..؟

الطبيب : لست أدرى يا مولاى ماذا أصاب مولاتى؟، لقد اصيبت صحّتها بانتكاسة كبيرة، وفيما يبدو أن يقظتها المفاجئة فى الأيام الماضية لم تكن غير صحوة الموت..

الملك : صحوة الموت؟!

الطبيب : أخشى ذلك يا مولاى، وهى الآن نائمة واعتقد أنها الغيبوبة الأخيرة.

المشهد الثانى

(هاملت، هوراشيو...).

هوراشيو : قتل بولونيوس كى يحدث وقيعة بينك وبين لا يرتس...

هاملت : يا له من داهية؟، أراد أن يتخلص منى دون أن يلطخ يده بدمى..

هوراشيو : منذ قليل كنت تقف حائراً عند مفترق الطريق، وهاهو الملك يبدد حيرتك ويدلك على الطريق الذى يجب عليك أن تسلكه... فماذا أنت فاعل يا سيدى؟

هاملت : (لا يجيب...).

المشهد الثالث

(جلدنسترن، أوفيليا...).

جلدنسترن : سيدتى، إنى أتحدث إليك منذ غادرنا قاعة العرش، لكنك لم تجيبى بكلمة واحدة.. ورغم تقديرى لما ألم بك، إلا أننى أشفق عليك من هذا الحزن الذى لا تحتمله الجبال...

(أوفيليا لا تجيب..).

جلدنسترن : إلى متى ستظلّين وحيدة فى هذا الصمت الذى لا آخر له؟!

(أوفيليا لا تجيب..).

جلدنسترن : أيجب أن أكون ملكًا أو أميرًا كى تخرجى لى عن صمتك هذا؟!..

(أوفيليا تتركه وتخرج..).

جلدنسترن : (بمفرده) حتى الحزن لم يستطع إلا أن يشّدنى إليك!!، لو تعلمين أننى ما قتلت أباك الا من أجلك؟!، أردت أن أصير وزيرا كى أصبح لائقا بك.. كم أنت شهية؟!... هى كلمة، كلمة ينطق بها الملك فأصير وزيراً، وتصيرين لى.. يا حلم جلدنسترن القديم!!

المشهد الرابع

(الملك، الحاشية... يدخل لا يرتس يتقدم جمعاً من علية القوم.. ينحنون للملك....

لا يرتس : (متأسياً) مولاى الكريم..

الملك : مرحباً بك لا يرتس، وحمد لله على سلامة عودتك إلى الوطن..

لا يرتس : أشكرك يا مولاى...

الملك : نعزيك فى أبيك يا بنى، ونعّزى أنفسنا فى وزيرنا العظيم..

لا يرتس : أشكرك يا مولاى..

الملك : عسى أن تكون رسالتنا قد وصلتك فى الوقت المناسب..

لا يرتس : نعم يا مولاى، وأشكر لكم إطلاعى على جلية الأمر...

الملك : أمل يا بنى أن تتحلى بما كان لأبيك من عقل راجح، وأن لا تدع لأهواء الشباب أن تقتادك لما لا تحمد عقباه، فالحق يقف إلى جانبك ونحن نقف مع الحق.. أمّا عن هاملت، فلا شك أن المملكة أصيبت به فى مقتل، لكننا لن نستطيع أن نوقف جريان سهمه النافذ، طالما أن الملكة فى فراشها تنتظر الموت، ولا حاجة بى إلى القول بأننا سنعجّل بموتها إذا ما اقتصصنا منه، ثم هو معبود

الجماهير ـ كما تعلم.. فاصبر، وسوف نتدبّر الأمر معًا، وتأكد بأن مليكك لن تغمض له عين حتى يرى أجنحة العدل ترفرف خفاقة فى سماء المملكة..

لايرتس : كلّى أمل فى عدالتكم يا مولاى..

الملك : كنت على يقين من أنك تستطيع أن تزن الأمور جيداً، وهذا يبعث السرور فى نفسى، ويجعلنى أطمئن إلى أنك لن تكون مصدراً لجلب القلاقل إلى المملكة التى كان أبوك واحداً ممن ساهموا فى تشييد مجدها. وتأكد أنك طالما أحكمت أمام نفسك وأعملت العقل وأطعت مولاك، فإنك أنما تحفظ فضل أبيك وتحفظ وطنك وحقك أيضا، وهذا يجعلنى أرضي عنك..

لايرتس : أنا خادمك المطيع يا مولاى...

الملك : من الآن فصاعداً تستطيع أن تعدّنى أباً لك، وسوف أشملك برعايتى ولك ان تعّد نفسك من المقربين إلى الملك...

لايرتس : هذا عطف كبير منك يا مولاى الكريم..

الملك : لك أن تذهب الآن، وسنلتقي بعد أن تستريح..

لايرتس : أشكرك يا مولاى...

(ينحنى ويخرج، يتبعه الآخرون..).

المشهد الخامس

(لا يرتس، أوفيليا...).

لا يــرتــس : لقد صيرنا وحيدين، ولا نصير لنا... وإن لم نتدبر أمورنا جيداً، سنجد مكاننا تحت التراب مثل عامة الناس.. فهل ستملئين المقعد الشاغر إلى جوار الملك ـ كما تمنّى أبونا قبل رحيله ـ أم ستركبين رأسك وتوغلين بنا فى التراب..

(أوفيليا لا تجيب..).

لا يــرتــس : وسواء أكان هاملت قد جن حقًا كما يقولون أم لا، فقد قتل أبانا وانتهى الأمر.. وصار بينى وبينه دم يجب أن يراق، وروح يجب أن تزهق ـ ولولا خشيتى مما قد يؤل إليه مصيرنا، لكان خبر مصرعه الآن يتردد فى الآفاق.. غير أننى لم أشأ أن أموت مرتين، مرة حين قتل أبضنا على يديه، مرة إذا قتلته أنا بيديا هاتين، فيفتك بنا الملك والجماهير التى تعبده... عليك بالذهاب إلى الملك، والتودد إليه، وسوف ينالك منه ما سيعوضك عمّا كان لأبيك من مكانة سامية، أقول هذا لأجلك، ولأجلى أنا أيضا..

(لا يرتس يخرج..).

أوفــيـليــا : كلّهم يضطهدون أوفيليا... ألا يوجد على هذه الأرض من يضطهدونه غير أوفيليا..؟!

(يدخل جلدنسترن..) .

جلدنسترن : سيدتى..

أوفيليا : (لا تجيب) .

جلدنسترن : ألم يزل الصمت يخطفك منّى؟!

أوفيليا : (لا تجيب..)

جلدنسترن : (ينظر إليها فى صمتها وحزنها وعينيها الخفيضتين ويبدو مبهوراً بها) . يا للروعة!!.. روعتك أكبر من الأرض، فكيف تحملينها؟!... سيدتى .... لماذا تضنّين علىّ بصوتك؟!

أوفيليا : (لا تجيب..) .

جلدتسترن : ألا تسمعيننى؟!

أوفيليا : (لا تجيب..) .

جلدنسترن : (مندهشاً) سيدتى..

أوفيليا : (لا تجيب..) .

جلدنسترن : (يمد يده بتردد ويمسك يدها.. أوفيليا تبدو مستسلمة تماماً..) ها أنا أمسك يدك، ألست غاضبة منّى؟!
(لا تجيب..) .

أوفيليا : يسرى فى جسدى الآن شى بطعم العسل.. (ينظر إليها على أمل ان تقول شيئا، دون جدوى) يضيئونى.. (يرتجف) أهو قمرك الذى اشتهى؟!..

جلدنسترن : (يقبل يدها) كأنك المروج، وكأننى الندى... (ثم فجأة) ايتها الروعة المطلقة، كم اتمنى ان اموت الان وأدفن فيك... (جلدنسترن يلثم يديها بفمه وهى لا تحرك

ساكنا...).

أوفـــيليـــا : يالأوفيليا المسكينة!!، ألا يوجد من يضطهدونه على هذه الارض غير أوفيليا؟!

... الا تجد الطعنات سكناً لها غير جسدى النحيل؟!..

(جلدنسترن يحملها ويرقدها على الارض، وينظر إليها بجنون..).

أوفـــيليـــا : تعالى يا طعنات، تعالى.. واسكنى جسدى، واطردينى الى الأبد...

(جلدنسترن يرقد فوقها ـ هذا فى الوقت الذى تنسحب فيه الإضاءة على الفور..).

المشهد السادس

(الممثلون جالسون.. وهاملت واقف أمامهم....).

هـــامـــلـــت : إنتبهوا جيدا لما سأقول.. المسرحية تتضمن مرحلة جديدة من صراع ملكولم مع الملك ـ قاتل أبيه... فبعد أن قتل ملكولم بولونيوس فى مسرحيته، إستغل الملك حادثة القتل المسرحية هذه وقام بتحويلها إلى حادثة واقعية، ذلك بأن قتل بولونيوس بالفعل ـ ومن الواضح أن الملك لم يفعل ذلك إلاّ لأنه يعلم تمام العلم أن أصابع الإتهام

ستشير حتماً إلى ملكولم، ملكولم الذى شاع أمر جنونه بين الجميع.. وبهذا أحدث الملك وقيعة بين ملكولم ولا يرتس - ابن بولونيوس - على أمل أن يتخلّص من ملكولم دون أن يلّطخ يديه بدمه.. وهكذا، فإن ملكولم ولا يرتس بدلا من أن يتكاتفا معاً ضد الملك - طلبا لثأريهما، فإنهما يقتتلان.. والآن، سيبعث ملكولم برسالة إلى لا يرتس ليكشف له عن مؤامرة الملك، ويدعوه إلى نبذ الخلافات التى بينهما.. وعلينا أن نتصور كيف يمكن صياغة رسالة كتلك...

(يدخل هوراشيو...).

هوراشيو : سيدى..

هاملت : تعال يا هوراشيو..

هوراشيو : الكونت كورنيليوس لقى مصرعه..

هاملت : ماذا؟!

هوراشيو : عثر عليه الخادم فى غرفته غارقا فى دمه..

هاملت : (للممثلين) إذهبوا الآن...

(الممثلون يخرجون - وقد راعهم ما سمعوا..).

هوراشيو : وألقوا القبض على النبيل الذى قتله..

هاملت : كل لحظة تمرتأبى إلاّ أن تهدم قطعة من روحى..

هوراشيو : لقد صرت قديساً يا سيدى!!

هاملت : بل ماكينة للنبوءات!!، وأصارحك القول بأننى كنت ألهو فى نبوءتى بشأن الكونت..

هوراشيو : لكن الحياة لا تعرف اللهو..

هـامـلـت : للأسف...
هوراشـيـو : لماذا اجتمعت بالممثلين؟
هـامـلـت : (لا يجيب).
هوراشـيـو : أهى مسرحية جديدة؟
هـامـلـت : (لا يجيب).
هوراشـيـو : ويا ترى سترشد من هذه المرة كى يقتل من؟
هـامـلـت : (ينظر إليه بدهشة..).
هوراشـيـو : أجب يا سيدى..
هـامـلـت : لماذا أنت متوتر هكذا على غير عادتك؟
هوراشـيـو : ولماذا أنت هادىء هكذا على الرغم من كل ما يحيق بك من مخاطر؟
هـامـلـت : (لا يجيب).
هواشـيـو : الملك يضيّق الخناق عليك، لقد وضع المشنقة فى عنقك وجاء بلا يرتس ليشد الحبل، فماذا أنت فاعل؟!
هـامـلـت : (لا يجيب).
هوراشـيـو : الوقت يمضى، وهذا ليس فى صالحك وليس فى صالح الحق فى شىء..
هـامـلـت : يا هوراشيو..
هوراشـيـو : يا سيدى لقد سمعتك كثيرا، ولو شجوا رأسى بل لو شقوا بطنى، فلن يجدوا غير كلام لك، فلو أذنت لى، سأتكلم أنا هذه المرة، لأن لدىّ الكثير مما يجب أن. يقال..
هـامـلـت : قل ما شئت..

هوراشيو : حين تكتب مسرحية، فإنك تتعاطف مع جميع شخصياتها، بكل ما بها من خير وشر، ذلك لأنك خالقه.. لكنك فى الحياة تفعل شيئاً آخر، أنت فى الحياة مثل الشخصية فى المسرحية، لا تعلم ما يعلمه المؤلف.. أنت فى الحياة ـ وأنت كنت مؤلفًا مسرحيًا ـ إلا أنك مجرد إنسان، وككل إنسان هناك دور يجب عليك أن تلعبه، ولا يوجد إنسان بلا دور، تماماً كالشخصية بداخل المسرحية فالشخصية التى لادورلها لا وجود لها .. وكما أن الشخصية فى المسرحية لا تستطيع أن تلعب دور المؤلف، فان الانسان فى الحياة لا يستطيع أن يلعب دور الإله..

هاملت : ماذا تريد أن تقول؟

هوراشيو : لماذا لا تريد أن تلعب دورك المقدر لك كإنسان، وتصر على أن تتخذ مقعد الإله الذى يرقب كل شيء من بعيد، وما أنت بإله؟!، لماذا لا تريد أن تتدخّل فى الأحداث؟، هل صدّقت أن الحياة مسرحية من تأليفك انت؟!.. يا سيدى أنت مجرد انسان تلعب دوراً فى الحياة مثل سائر الناس..

هاملت : يا هوراشيو أنا أريد أن أعرف.. المعرفة. الحقيقة هى ما يؤرّقنى، «ما الذى يدفع الانسان إلى ارتكاب فعل القتل؟» .. وهذاالقصر إن هو إلا مصنعًا للقتل، ولن يتاح لانسان ان يرى القتل وهو يتخلّق وينمو ويكتمل أمام عينيه مثلما يتاح لى الآن.. دعنى أرقب وألاحظ

وأجرِّب، فعسى أن أصل الى فهم واضح لهذا الفعل المروِّع المسمى «القتل». أم ترى أن من ألاجدى لى أن أترك كل هذا وأتحوَّل إلى قاتل؟

هوراشيو : أخشى أن يكون ما وراء هذا الذى تفعل رغبة دفينة فى أن تتحول إلى قتيل..

هاملت : ماذا؟!

هوراشيو : لماذا قدَّمت مسرحياتك للملك؟، ألكى تتأكد من أنه قتل أباك؟، أم لأنك أردت أن تخبره بأنك تعلم أنه قتل أباك ـ وبذا ترشده إليك كى يقتلك؟!

(هاملت ينفجر ضاحكاً بسخرية..).

هوراشيو : أبوك لعب دور الضحية، وأنت أيضا تريد أن تلعب نفس الدور..؟!

(هاملت يضحك بشدة..).

هوراشيو : (صائحاً) أنت تمدّهم بأسباب قتلك؟!

(هاملت يضحك بهستريا... هوراشيو يتركه ويخرج....).

المشهد السابع

(الممثلون متوتّرون...).

ممثل ١ : ماذا يريد هذا الأمير؟!

ممثـــل ٢ : ايظن بأن جميع من فى القصر لا يعرفون أن ملكولم هو هاملت نفسه؟!

ممثـــل١ : الأمر واضح بما فيـه الكفـاية، بولونيـوس ولا يرتس بن بولونيوس و ...

ممثـــل ٢ : لكنه يقـول بأن الملك هو الذى قـتل بولونيـوس ويريد أن يبعث برسالة إلى لا يرتس ليخبره بذلك؟!

ممثـــل ١ : عن طريق المسرح، أى على الملأ؟!

ممثـــل ٢ : هذا الأمير مجنون لا شك..

روزنكرانتــز : بل مسكين، قتل الملك أباه بالاشتراك مع أمه، ولا يعرف كيف يأخذ بثأره منهما..

الممـــثلة : وهل تصدق هذا؟

روزنكرانتــز : نعم، وهو بعينه السر وراء إصرار الملك على اتهامى بقتل زوجك، ذلك أنه أسـقط جـريمتـه هو والملكة على مـا حدث لنا فى المسرح..

ممثـــل ١ : لو كان ما تقوله قدحدث بالفعل، إذن يحق له أن يجن..

الممـــثلة: ملك قاتل وأمير مجنون.. أنا خائفة، خائفة...

ممثـــل ٢ : كلُّنا خائفون...

روزنكرانتــز : لقد تناسوا أننا بشر مثلهم تمامًا، وحولونا إلى دُمى، وأسقطوا علينا أوهامهم، فصيرنا موّزعين بين وهم الأمير ووهم الملك..!!

ممثـــل١ : وما العمل الآن؟

الممـــثلة : أريد أن أقول لكم شيئًا أخفيته عنكم..

روزنكرانتــز : ما هو..؟!

الممـــثلة : الملك طلب منّى ـ عن طريق جلدنسترن ـ أن أتجسس على الأمير..

روزنكرانتـز : وهل فعلتى؟!

الممـــثلة : وهل كان بمقدورى ألاّ أفعل ؟!

ممـــثـل ١ : (بأسى) نعم، نحن هنا مجـرد ممثلين، وعلينا أن نقـوم باداء الأدوار التى يحددوها لنا فقط ؟!

روزنكرانتـز : (غاضبا) يجب أن تكفّى عن هذا..

ممـــثـل ٢ : لا، بل يجب أن نذهب جميعا إلى الملك ونخبره بأمر الرسالة التى يود الأمير أن يبعثها إلى لا يرتس..

روزنكرانتـز : ماذا تقول؟!

ممـــثـل ٢ : أقـول بأننا أن لم نستطع أن نهـرب من هذا القـصـر فالأفضل لنا أن نتعاون مع الملك..

روزنكرانتـز : إنه قاتل؟!

ممـــثـل ٢ : هذا القاتل هو الملك، القوى، أمّا الأمير المجنون فمجرد مسكين ـ على حد قولك، ولا يقوى على حماية بعوضة..

الممـــثلة : نعم، يجب أن ننجو بأنفسنا من هذا المكان، فلا شأن لنا بهذا كله..

المشهد الثامن

(الملك، لا يرتس...).

لا يـرتـس : عبرت بوابة القصر صامتة.. وكل من رآها قال بأنها كانت ذاهلة.. كانت تسير وهى ترنو إلى بعيد، إلى لا

شيء، أو إلى شيء ما تراه ولا يراه غيرها وكانت حزينة...

(يبكي...).

الملك : (بأسى) لا يرتس؟!... كفى..

لا يرتس : إن لم تجر دموعي لأوفيليا، ستجرى لمن إذن؟!

الملك : (متأسيا تماماً) لا يرتس..!!

لا يرتس : هي ورقة خضراء، أسقطها الخريف من شجرة في القلب، ولا أحد يعرف إلى أين القت بها الريح...

الملك : كفى يالا يرتس، كفى.. الحراس الآن يبحثون عنها، وحتماً سيعودون بها..

لا يرتس : سيعودونٌ بمن؟، بأوفيليا؟، ام بأوفيليا خالية من أوفيليا؟!

(يبكي..).

الملك : يا بني..

لا يرتس : كانت آخر ما تبقى لي من نفسي..

الملك : أتحبها إلى هذا الحد؟

لايرتس : إنها أختي يا مولاي، أختي .. إن فقد الرجل زوجته، فبإمكانه أن يجد بديلاً عنها، أما الأخت، فمن أين له بغيرها...

الملك : (متألماً) كفى، كفى، يالا يرتس، كفى..؟!

لا يرتس : (فجأة) مولاي...

الملك : (لحظة صمت)...

لا يرتس: أنا لم أعد أطيق أن أرى قاتل أبي يخطر فوق الأرض..!!

الملك : إصبر يالا يرتس..

لا يرتس : لم يعد بى طاقة على الصبر..

الملك : يجب أن تصبر، قتله ليس بالأمر العسير، ولن يكلّفنا غير طعنة واحدة، لكن إقناع الجماهير بذلك القتل هو ما يجب أن نفكر فيه..

لا يرتس : ألا تعلم الجماهير بقتله لأبى؟!

الملك : لا يجب أن تعوّل كثيرا على عطف الجماهير على أبيك، لأن أحداً لم يكن يرضى عنه..

لا يرتس : الم يرض عنه النبلاء..؟!

الملك : النبلاء شيء، والفلاحون والتجار وأصحاب المهن شيء آخر، وهم الأكثرية، يحبون الأمير ويعجبون بعقله.

لا يرتس : (لا يجيب)..

الملك : تحلّى بالصبر، وسوف نتدبّر أمر ذلك المجنون..

لا يرتس : (يائساً) كيف يا مولاى؟، كيف...

الملك : اطمئن، لن نعدم الحيلة..

لا يرتس : سمعت أنه يعمل بالمسرح مع بعض المهرجين..

الملك : (يضحك فجأة) نعم.. لقد تناسى أنه أمير، واستهوته اللعبة وصار مسلّياً للغاية.. (يضحك) والآن يعد عرضاً جديداً، به رسالة إليك يا لا يرتس، وفيها يخبرك بأننى «أنا» الذى قلت أباك (يضحك)...

لا يرتس : ماذا؟!

الملك : لأحدث وقيعة بينك وبينه (يضحك بتوتر).. تصوّر!!، أنا الذى قتلت الوزير!! (يضحك بتوتر أكثر)، يا

للمجانين!!، لماذا أحدث وقيعة بينك وبينه؟!، ما الذى سيعود علىّ من ذلك؟!، (يضحك بتوتر شديد، ثم يكف فجأة) يقول الطبيب بأن الشخص المصاب بالجنون تتراءى له أشياء غريبة لا تخطر للشخص الصحيح العقل (تبدر منه ضحكة هستيرية خاطفة) تصوّر!!، الليل يظل مستيقظا طول الليل، وإذا طلع النهار فإنه يدخل سمكة الأمير شخصياً لينام فيها !!..

لا يرتس : ماذا ؟!

الملك : (يضحك) والناس يسبحون فى الأطباق كالأسماك ـ هكذا يقول...

لا يرتس : (متأسياً) أبلغ عقله الجبار هذا الحد من السقوط؟!..

الملك : والأدهى والأمر من ذلك، تجواله ليلاً فى طرقات القصر عارياً كما ولدته أمه..

لا يرتس : (متأسياً بشدة) هذا جنون ليس له ما بعده...!!

الملك : ومالا تعلمه هو أنه تجرد من ملابسه أمام أختك ودعاها للفراش..

لا يرتس : (مفزوعاً) ماذا تقول..؟!

الملك : أقول ما سمعت...

لا يرتس : (هامساً كأنما يحدث نفسه) ياله من مسكين!!، ماذا جرى له؟!.. أيمكن مثل عقله أن ينحدر من عليائه ويتفتّت على هذا النحو؟!ـ هى نهاية العالم إذن؟!

الملك : لقد تمكّن الجنون منه تماماً لدرجة أنه لا يجد غضاضة فى الوقوف على خشبة المسرح إلى جانب المهّرجين!!

(يضحك فجأة بتوتر وسخرية) سأنشيء له مسرحاً، وسأطلق على فرقته اسم «فرقة هاملت المسرحية» (يضحك، ويظل ضحكة يرتفع حتى يصل إلى حد الصخب الهستيرى).

لا يرتس : (ينظر إلى الملك مستاءاً تماماً..).

(يدخل جلدنسترن حزيناً بشدّة،وينتظر حتى ينتهى الملك من الضحك..).

جلدنسترن : مولاى..

الملك : (يلتفت إليه) جلدنسترن، هل عثرتم عليها؟

جلدنسترن : نعم.. عثرنا عليها فى الغابة المجاورة..

لا يرتس : وأين هى الآن؟!

جلدنسترن : فى غرفتها..

(لا يرتس يندفع جرياً إلى الخارج..).

الملك : إنتظر!!.. (ويخرج فى أعقابه جرياً..).

جلدنسترن : (يخر على ركبتيه منهاراً..) أعلىّ أن أموت وحيداً فى صمتك الأخير؟!، سأذهب إلى آخر دمى... سأذهب.. فقط امهِلينى قليلاً من الوقت لأقتلع روحى..

(من خارج المسرح يأتى صياح لا يرتس مدوياً: «أوفيليا...» ..).

المشهد التاسع

(الملك، لا يرتس، قس، بعض أفراد الحاشية... يقفون حول قبر فى خلفية المسرح، ويرددون التراتيل الجنائزية الأخيرة.. هاملت وهوراشيو يدخلان من مقدمة المسرح..)

هوراشيو : هاهم يا سيدى..

(يتراجعان على الفور، ويختبئان).

هوراشيو : يبدو أنهم على وشك الانتهاء من مراسيم الدفن.. مسكينة أوفيليا!!

هاملت : دودة قبر، خرجت لتتسوّق قليلاً، وتعد الطعام الذى ستأكله فى المستقبل، ثم عادت مطمئنة لتنتظر المآدب العامرة بالرجال الموتى..

هوراشيو : (متأسياً) ماذا تقول يا سيدى؟!

هاملت : أقول هكذا النساء، ديدان يلدننا ليلتهمننا..

هوراشيو : حتى أوفيليا؟!

هاملت : حتى أمى..

هوراشيو : لماذا أتيت بنا إلى هنا اذن؟!

هاملت : كى أطمئن إلى أنها لن تلتهمنى حياً..

هوراشيو : يا للقسوة!!، حتى فى موتها...

(يختتمون التراتيل ويبدأون فى الإنصراف..).

هوراشيو : يبدو أنهم انتهوا..

هاملت : يظنون بأنهم انتهوا منها بدفنها، ولا يعلمون بأنها ستنتظرهم فى تلك الحفرة حتى يعودوا إليها محمولين على ظهورهم..

هوراشيو : (ساخراً) كأن الرجال هم وحدهم الذين يموتون!!

هاملت : هذه حقيقة، فالمرأة تعمل لحساب الموت، بل إن الموت هو طفلها المدلّل الذى يعيش على التهام ما تلده له من رجال، والمغفلون لا يكفّون عن المجىء إلى الحياة..

هوراشيو : (ساخراً) كأن الحياة مزرعة رجال، ترعاها النساء، ليقتات عليها الموت كما نقتات نحن على الدواب؟!

هاملت : (مستفزاً) ومن الغريب أنك حين تريد أن تسخر فإنك لا تنطق بغير الحقيقة!!

هوراشيو : أى حقيقة!!، منذ أتينا إلى هنا وأنت تهزى!!

هاملت : (بحدة) هوراشيو..؟!

هوراشيو : أتريد منى أن أقتنع بأنك استبدلت قلبك بقطعة صخر؟!، حتى لو كان هذا هو ما حدث بالفعل، فعقيدتى بأن هذه الصخرة منقوش عليها اسم أوفيليا لن تهتز أبداً..

هاملت : (بحدة أكثر من زى قبل) هوراشيو..؟!

هوراشيو : انت تحاور وتناور وترتدى أقنعة الصلف والقسوة كى تخدعنى، وما تخدع إلاّ نفسك التى أذقتها المر، كما اذقت أوفيليا المسكينة، وتركتها تموت وحيدة..

هاملت : (صائحاً بانفعال شديد) هوراشيو، كفى؟!

هوراشيو : ما كان لها نصير سواك..

هاملت : كفى؟!

هوراشيو : وتركتهم يقتلونها...

(هاملت ينفجر بالبكاء... لحظة صمت..).

هوراشيو : حتى الصخر لم يحتمل موتهاوبكى.. ... منذ متى لم أر دموعك؟.. كنت أعرف أنك ما أتيت إلى هنا إلا لتبكي.. إبكي يا سيدى، إبكي.. فما خلقت الدموع لغير أوفيليا..!!

(يقترب من قبر أوفيليا)....

هاملت : وجهك السماوى الآن فى التراب...!!

أعليّ أن أشرئب بعنقى من خلف كل هذا الموت لأريك دموعى!!..

أوفيليا.. فتحت قلبى فلم يدخل غير الحصى، واصبحت على الدنيا بلا أوفيليا.. لو أموت،ليتنى أموت... الآن ينشق قلبى بخنجر الفراق.. أوفيليا، كم وردة منك لم تر انتحارى كاملاً؟!.. أعرضت عنك، وما أعرضت إلا لتجرى ورائى أكثر، وتلحقين بما تبقى لى منى... لكن قلبك الصغير أعيته مراوغتى للأنثى التى أخافتنى تماما. وهاهى ذهبت، ذهبت الأنثى، وبقيت انت فى قلبى، اوفيليا فى قلبى تنمو على هواها، تنمو كثيراً.. من يفهم حزنى!!.. أكان يجب أن تموت كى تعرف أننى أحبها؟!، ها أنا أعلن أمام الموت اننى أحبك وسأظل

أحبك، يا ابنة حزنى!!.. لو تعلمين.... قلقى كبير وأنا صغير، فكيف أحمله؟!... سأبكى، سأبكى كثيراً ... وأظل أبكى، حتى تنشق السماء على جبهتى وأنا أمضى فوق الأرض إلى آخرى...

المشهد العاشر

(الملك... ثم يدخل عدد من النبلاء...).

النبـــلاء : (ينحنون) مولاى...

المـلـــك : مرحباً بالسادة النبلاء..

نبـــيل ١ : مولاى الكريم..

(ويتقدم إلى الملك ويناوله لفافة ورقية..).

المـلـــك : ما هذه؟

نبـــيل ١ : هذه توقيعات النبلاء يا مولاى على التماس نرفعه إلى جلالتكم، نرجو فيه ان تجودوا علينا بالعفو عن النبيل «أوسرك»، قاتل الكونت كورنيليوس..

المـلـــك : ماذا؟!، أتطالبوننى بالعفو عن قاتل ثبتت إدانته؟!

نبـــيل ١ : ليس الآمر هكذا يا مولاى..

المـلـــك : كيف هو إذن؟!

نبـــيل ١ : لقد أراد الكونت ان يصوِّب طعنة نافذة إلى قلب النبلاء الذين ينتمى إليهم، فما كان من النبلاء إلاّ أن بادروا بطعنة ـ ممثلين فى شخص النبيل أوسرك ـ وهذا دفاع عن النفس وهو حق مشروع...

المـــلـــك : أية طعنة تلك التى أراد الكونت أن يصوِّبها إلى قلوبكم؟! توزيع الأرض على الفلاحين وما ينطوى عليه ذلك من تفتيت للملكية..

نبـــيل ١ : وهل وزّع الكونت الأرض التى يملكها هو، أم مدّ يده فى جيوبكم وسرق أراضيكم ووزّعها على الفلاحين؟! النبلاء ينظرون إلى بعضهم مدهوشين..).

المـــلـــك : حقاً هو لم يوزّع غير أرضه، لكن هذا الفعل فيه اضعاف لنا فى الحرب المقامة بيننا وبين التجار وأصحاب المصانع الناشئة..

نبـــيل ١ : (ساخراً) هو خائن إذن؟!

المـــلـــك : بالطبع يا مولاى..

نبـــيل ١ : ثم إن الكنيسة أصدرت قراراً تنص فيه على أن الكونت

نبـــيل ٢ : كان من الخارجين على طاعتها ومما إستوجب حرمانه، ونظراً لذلك، فإن قتل النبيل أوسرك له، يعد عملاً دينيا مشروعاً..

المـــلـــك : (يروح ويجىء مفكراً.. ثم) أعتقد أن ما يوافق العدل والعقل أن القوانين التى تعمل فى دولتنا يجب ألاّ يرضى عنها القسيس وحده...

النبــــلاء : (ينظرون إلى بعضهم فى دهشة) ماذا؟!

المـلـك : طالما أننى ملك على هذه البلاد، فلن أدع القسيس يباشر مهام الحكم بدلاً منىّ..

نبيل ٣ : هذا كلام غريب ولم نسمع به من قبل؟!

المـلـك : منذ اليوم لن تخضع الدولة لسلطة الكنيسة، الملك هو الأحق بإدارة شئون دولته. واخبروا القسيس بأن لكنيسته طريقة فى الحياة لم يعدلها ما يبررها..

نبيل ٢ : مولاى، لقد كان الكونت يؤمن بأن الشمس هى مركزالكون وليست الأرض، وكان يردّ بأن الأرض مجردكوكب مثل الكواكب الاخرى، وأن الإنسان كائن مثل غيره من الكائنات، وأنه ليس محّطاً لعناية الله، ونتيجة لذلك ادّعى بأن على الإنسان أن يقرر مصيره بنفسه دونما مراعاة لسلطة الكنيسة..

المـلـك : أعلم أنه كان يدعو إلى تجديد الحياة..

نبيل ٢ : أى تجديد هذا يا مولاى، هذا تجديف؟!

المـلـك : ايها النبلاء، لماذا تكرهون ان يعثر التجار على مشترين لبضائعهم؟، لمذا تكرهون ان يجد الفقراء ما يشترون به تلك البضائع المكدّسة فى الأسواق؟!

النبــــلاء : (هرج ومرج، إذ يتسابقون إلى الردّ عليه..) التجار يعملون بالربا، وهذا مالا ترضى عنه الكنيسة...

المـلـك : يعملون بالربا؟!

نبيل ٣ : نعم، يقترضون ويقرضون المال نظير فائدة؟!

الملـــــك : (يضحك ساخراً) النقود تلد..

النبـــــلاء : تلد؟!

الملـــــك : نعم، النقـود تلد النقـود.. وهذا هو سر الحـياة الجـديدة المقبلة التى لا شأن لكم بها، دعوهم يعملون..

نبـــــيل ٢ : (ينظرون إلى بعضهم فى دهشة وتساؤل..) هل تقف إلى جانبهم يا مولاى؟!

الملـــــك : أنا أقف إلى جانب الحياة أينما كانت، أمّا أنتم فتقفون الى جانب الموت..

نبـــــيل ١ : (ثائراً) هل نسيت ان عامة الشعب كانوا ولازالوا يريدون تنصيب الأمير هاملت ملكاً عليهم؟، هل نسيت أن نبـلاء هذه الدولة هم الذين أتوابك إلى العـرش بحـد السيف؟!

الملـــــك : لا، لم أنس، ولازلت أذكر أن تفضيلكم لى على ابن أخى، مرجعه خشيتكم من الأفكار الجديدة التى يعتنقها.. كنتم تظنون بأننى سآذن للموتى أن يحكموا من القبور، لكنكم أخطأتم، أيها النبلاء، يجب أن تعلموا أن كلوديوس أكثر تطرفاً من ابن أخيه فى اعتناقه لكل جديد ومستحدث..

نبـــــيل ١ : هذا كلام خطير؟

الملـــــك : إنزلونى عن العرش إذن، إن استطعتم..

(النبلاء ينظرون إليه واجمين..).

الملـــــك : سأنفّذ حكم الإعدام فى النبيل اوسرك بنفسى، فى السوق أمام الجميع.. (النبلاء يندفعون إلى الخارج غاضبين..).

الملك : (صائحاً) إذهبوا، إذهبوا إلى الأبد.... إذهبوا.. (بمفرده) إذهبوا ... فلن أنصّب من نفسى ملكاً على الماضى، ولن أصير حارثاً على أوثانكم التى لا أومن بها، لن أقف إلى جانب الزوال الذى إليه مآلكم، ولا أريد للزوال أن يقف إلى جانبى... أنا رجل مختلف، أريد أن أعيد تأسيس الحياة... فكيف لى أن ابرىء النبيل الذى يقف لى جانب مبدأ قمىء قتلت أخى لأجله؟!

(يدخل لا يرتس..).

لا يرتس : مولاى.. (ينحنى) النبلاء ساخطون، ويهددون باقصائك عن العرش وتولية هاملت بدلاً منك؟

الملك : وانت ما رأيك؟

لا يرتس : مستحيل أن أقبل بهذا أبدا، أبدلاً من ان ينال عقابه، يثاب على هذا النحو؟!

الملك : وماذا ستفعل؟

لا يرتس : سأقتله..

الملك : كيف؟!، قتله إن لم يكن مبرراً بما يكفى، سيقيم الدنيا عليك ولن يقعدها حتى يواريك التراب..

لا يرتس : فليكن ما يكون .. لقد فقدت أبى وأختى، وهما كل ما

الملك : لدى فى الحياة، وبدونهما صارت لا تستحق أن تعاش..

الملك : اذن اقتله..

لا يرتس : (لحظة صمت، ينظر خلالها إلى الملك مفكراً ـ وربما متردّداً..).

الملك : ماذا؟!

لايرتس : (لا يجيب).

الملك : أراك متردداً..

لايرتس : لا، ولكن...

الملك : ولكن ماذا؟

لايرتس : ... جنونه يؤرقني قليلاً... كيف لشخص مجنون أن يتولّى حكم البلاد؟!

الملك : هذه إرادة الشعب..

لايرتس : ألا يعلم الشعب بأمر جنونه هذا؟

الملك : لا...

لايرتس : ماذا إذن لو أذعنا هذا الأمر على الملأ؟

الملك : لن يصدقنا أحد..

لايرتس : (لا يجيب).

الملك : هل تراجعت عن قتله؟

لايرتس : لا، لم أتراجع، لكنني ... لا أريد أن أدع لمجنون مثله فرصة قتل عائلة بأكملها...

الملك : أرى أنك بدأت تخشى على حياتك التي كنت تزدريها منذ لحظات..

لايرتس: هذا ما قد يبدو في ظاهر الأمر، لكن الحقيقة هي ما ذكرت..

الملك : أيها الشاب، يحق لك أن تنعم بالحياة كغيرك من الناس، ولكن تذكّر أن شرفك سيقاس بالمدى الذي سيوغل به

سيفك في قلبه...

(الملك يتركه ويخرج..).

لا يــرتــس : (بمفرده) غريب أمر هذا الملك...؟!

(يدخل جلدنسترن ملطخاً بالدماء، يترنح... ثم يسقط على الارض، لا يرتس يهرول إليه..).

المـــلـــك : (صائحاً) جلدنسترن؟!

(يلتقط أنفاسه بصعوبة).

لا يــرتــس : (مفزوعاً) ما كل هذا الدم؟!

لا يــرتــس : سيدى...

جلدنسـترن : من الذى فعل بك هذا؟!

لا يــرتــس : سيدى...

جلدنسـترن : تكلم، من الذى طعنك هكذا؟

لا يــرتــس : أليد التى طعنت أباك..

جلدنسـترن : هاملت؟!

لا يــرتــس : لا ..

جلدنسـترن : لا؟!، من إذن؟!

لا يــرتــس : (رافعاً يده) هذه ...

جلدنسـترن : ماذا؟!

لا يــرتــس : هاملت لم يقتل أباك، وإنما يدى هذه هى الآثمة..

جلدنسـترن : أنت الذى قتلت أبى؟!

لا يــرتــس : أنا، وبإيعاز من الملك..

جلدنسـترن : الملك؟!، الملك هو الذى أوعز إليك بقتل أبى؟!!

لا يــرتــس : نعم، الملك هو الذى قتل اباك بيدى...

جلدنستـرن : (منهـارا) الملك؟!.. طالما حدثنى قلبى بهـذا، كلّمـا كـان يدفعنى إلى قتل هاملت، وهو عمّه وزوج أمه وفى مقام أبيه...

لا يــرتــس : (متألما) سيدى.. يجب أن تسمعنى قبل أن أموت...

جلدنستـرن : (لا يجيب).

لا يــرتــس : انا الذى تسببّت فى موت اوفيليا...

جلدنستـرن : (كالمجنون) ماذا؟!!

لا يــرتــس : (متألما بشدّة) اغتصبتها...

جلدنستـرن : إغتصبت أوفيليا؟!!

لا يــرتــس : كنت أحبـهـا لكن قلبـهـا كـان أرق من أن يسعنى، فلم تحتمل، لم تحتمل جلدنسترن الملوث بدماء ابيها...

جلدنستـرن : (صائحاً) أيها القاتل؟!، أيها الفاجر...؟!

لا يــرتــس : (جلدنسترن يموت..).

(ينحنى عليه ويبكى)...

لا يــرتــس : مساكين هؤلاء الذين يحملون ذاكرة... رحل من رحل، لكن أحـداً لم يرحل تمامـا ... آه يا أبى.. لم يزل قلبى يضخ الدم لك ولأخـتـى.. قلبى الذى اكـتـمـل الآن بجلطة.. أعلىّ أن أتمدد وحـيـدا تحت الليـالى كلهـا، واتذكر النجوم التى اضأتما بها روحى؟!.. (يبكى).. آه يا أوفـيليـا، (ينادى) أوفـيليـا....؟!، الأرض رخوة تحتى، وها أنا أغـوص، أغـوص... لا تتـركـينى... لا تتركـينى

أغوص .. أين أنت؟!، صغيرة وحزينة، كالياسمين..
أغوص، أغوص .. وأنت هناك فى ذاكرتى، خلف شجرة
السرو، تبكين.. وأنا أغوص، أغوص.. (ينادى)...
أوفيليا..؟!، تنادين «أبى ؟!»، أغوص (يناى) أوفيليا،
تنادين «أبى»، (ينادى) أوفيليا...؟!، ها أنا أغوص من
جديد، أغوص فى التعب.. وأنادى: سأغسلك من
الغياب، وسيصعد أبونا من التراب.. وسنملأ هذا الهواء
بنا.. أوفيليا، لا تتركينى، لاتتركينى أغوص، أغوص فى
التعب إلى آخرى... وانت رزقاء، الى الأبد... ومخيفة،
لا، بل مختلفة، مختلفة فقط... غطوا جسدك الأزرق،
وحملوا الأزرق ، حملوا أوفيليا، أوفيليا الأخيرة...
الزرقاء، كنت زرقاء، تصعدين زرقاء، تصعدين بالأزرق
كى تعيديه الى السماء !!

... أوفيليا... هل سأظل أستيقظ كل صباح، وأغسل
وجهى، وأبدٍّل ملابسى، وأتناول إفطارى معك، خبزاً..
ودموع !!

(يلتفت إلى جثة جلدنسترن) لو أطردكم من
ذاكرتى؟!،من الهواء؟!، من الزمن؟!... يا للملك
الداهية؟!.. القتلى يسبحون فى هواء القصر، وأنا وحيد،
لم يعد لى غير جثتين... سأرحل، ولن أدع هذا الملك
العاتى يعصف بجسد أخير تبقى من عائلة...

المشهد الحادى عشر

(هاملت يروح ويجىء قلقاً... يدخل الحارس..).

الحــــارس : هل ناديت يا سيدى؟

هـامـلـت : نعم، لقد تأخر الممثلون عن موعدهم، إذهب وآتنى بهم...

الحــــارس : أمرك يا سيدى...

(الحــارس يخــرج، هاملت يروح ويجىء... يدخل هوراشيو..).

هوراشــيــو : سيدى...

هـامـلـت : ... هوراشيو؟!

(ينظر إلى هاملت بأسى..).

هـامـلـت : ماذا بك؟!

هوراشــيــو : هل سمعت بما جرى للايرتس؟

هـامـلـت : ماذا جرى؟!

هوراشــيــو : عثروا عليه مقتولا عند الحدود..

هـامـلـت : قُتِل؟!

هوراشــيــو : وعثروا معه على جثتى أبيه وأخته.. ويقال أنه أراد أن يهرب بهما بعدما قتل جلدنسترن..

هـامـلـت : ماذا؟!.. إن كان هو الذى قتل جلدنسترن بالفعل، فهذا يعنى أنه عرف أن ملك هو قاتل ابيه..

هوراشــيــو : وإزماعه الهرب يعنى أنه خشى من بطش الملك بعد أن اتضحت الحقيقة..

هــامــلــت : نعم، يقيناً عرف الملك أن لا يرتس اكتشف كل شيء لذا جدّ في قتله..

هوراشــيــو : سيدى.. ماذا ستفعل؟

هــامــلــت : (لا يجيب).

هوراشــيــو : الجميع الآن يقفون ضد الملك، الكنيسة والنبلاء، كما أنهم يريدونك ملكاً عليهم بدلاً منه، فهل ستدع الفرصة تفلت من يديك؟

هــامــلــت : أنا لا أريد أن أصير ملكاً..

هوراشــيــو : لكنها فرصتك للانتقام منه..

هــامــلــت : لن أقف إلى جانب النبلاء..

هوراشــيــو : لقد صار لديه أكثر من سبب لقتلك..

هــامــلــت : (لا يجيب).

هوراشــيــو : سيدى، السيف يدنو من رقبتك فماذا أنت فاعل؟!

هــامــلــت : أريد أن أنتقم من قاتل أبى... لكننى لا أريد أن أتهم بأننى انتصرت للإنسان القديم الذى فى طريقه إلى الموت.... هذا الملك يريق دماء الذين يقفون أمام الإنسانية الجديدة، فكيف لى أن أقتله؟!

هوراشــيــو : أيحق له أن يقتل إنسان فى سبيل الإنسانية الجديدة التى ينشدها؟!

هــامــلــت : هذه هى مشكلة الزمن القادم يا هوراشيو، من أجل حياة أفضل، ومن أجل إنسان أفضل، يجب أن نرسل بالكثيرين منا إلى الموت؟!... لقد صارت الإنسانية الجيدة وطناً حقيقياً ينتمى إليه الملك، ويقتل كل من

يعتدى عليه، وها هو يقف وحيداً امام الكنيسة والنبلاء، معلناً رغبته فى الإستشهاد، استكمالاً لرسالته...

هوراشـــو : أتعنى أن تحـريضى لك على قـتله، إن هو إلا مطلب أحمق بفتح باب الخلود لرجل بلا قلب؟!

هـامـلـت : ما قلب عمّى الإنواة لقلب الإنسان الجديد ـ القادم من بعيد، غرست فى زماننا هذا، وستنمو، وستظل تنمو فى الازمنة المقبلة....

هوراشـيـو : (مفزوعًا) يا للهول؟!... وما العمل إذن؟!، هل ستدعه يقتلك؟!

(يدخل الحارس..).

الحـــارس : سيدى، بحثت عنهم فى القصر كله فلم أعثر لهم على أثر...

هـامـلـت : ماذا؟!، هل هربوا؟!!

الحـــارس : أعتقد ذلك يا سيدى...

(هاملت ينظر إلى هوراشيو مدهوشاً..).

المشهد الثانى عشر

(منصة الإعدام ـ بلا حبل.. يدخل هاملت...).

هـامـلـت : كم تبقّى لى من العمر؟.. وهل تبقّى لى غير مشهد موتى؟، ونافذة أخيرة أطل منها على الضجر الذى

جرعت منه حتى امتلأت؟!... لو أهجر جسدى؟!، لوأعود إلى ما قبل ان تلدنى امى؟!!... (صائحاً) أوفيليا.... ألن تكونى فى وداعى؟!. هل سيخلو مشهدى الاخير من حزنك الباهر؟!، ... حتى فى موتى علىّ أن أموت وحيداً، كالموتى...

(يدخل الملك فى يده حبل غليظ على هيئة مشنقة... لحظة صمت ينظران خلالها الى بعضهما....).

هـاملـت : دائماً تأبى أن يموت أحد، دون أن تضع خاتمك عليه، هل صرت ملكاً للموت؟!

المـلـك : ما الذى اتى بك إلى هنا؟

هـاملـت : بل ما الذى اتى بك أنت إلى هنا؟، ألا تعلم أن الجميع يقفون لك بالمرصاد؟

المـلـك : تبدو كأنما تخشى على حياتى...

هـاملـت : إرضاء للقادمين فقط، إذ لا أحب أن أتهم بأننى كفرت بنبى مثلك...

المـلـك : (يضحك) كنت أظن بأنك فقدت عقلك، وبأننى وحدى الذى أعتقد بالحياة القادمة، خدعتنى؟!

هـاملـت : أتؤمن بالحياة القادمة إلى هذا الحد؟!

المـلـك : يقينا..

هـاملـت : .. عمّاه، الحياة القادمة تتسع للإنسان، وتضيق باليقين.. الثمن الذى سيدفعه الإنسان القادم هو أن عليه أن يحيا بلا يقين.. فرفقاً بالشك الوليد، إنه شارة القادمين من

المستقبل، وبرهان وجودهم.. أتعرف القلق؟، لو تعرف القلق... يجب أن تحترمه..

الملك : أنا أحترفه..

هاملت : من أين لك إذن بهذا الذى تحشو به يديك؟!

(الملك ينظر إلى الحبل الذى فى يده..).

هاملت : قتلت أبى وقتلت بولونيوس ولا يرتس، وها أنت تقف أمام النبلاء وتتأهب لإعدام النبيل.. ألم يتطرق إليك الشك ولو للحظة واحدة فى ان الحياة القادمة قد تكون مجرد وهم؟!

الملك : حتى لو كانت كذلك، طالما أننى أراها بعقلى، فهذا يكفى لكى أسعى إليها.. علىّ أن أعيش وفقاً لما أعتقده أنا، علىّ أن أجرب نفسى، أم ترى علىّ أن أخاف من نفسى؟!

هاملت : وعلى الآخرين أن يدفعوا الثمن؟

الملك : حتماً، ما دمت أنا الأقوى. ولو كانوا هم الأقوياء، لتحتّم علىّ أن أدفع ثمن حريتهم صاغراً...

هاملت : وهذا هو المنطق الذى سيحكم الحياة الجديدة، القادمة، ويبدو أن عقلينا تشبعا به تماماً... ولو تعلم كم فرحت لأنك قتلت الملك، غير أننى حزنت لأنك قتلت ابى..

الملك : نعم... فرحت لأننى قتلت الملك، وحزنت لأننى قتلت أخى..

هاملت : عمّاه، ... لن أنسى ابداً أنك شققت فى قلبى جرحاً بحجم أبى..

المـلـك : الحياة الجديد لا يجب أن تنهار بسبب الضمير..

هـاملت : لكنه أبى، أبى...

المـلـك : لن أسمح لكم بأن تحولوا الملك الذى قتلته الى مجرد اخ لى سلبته تاجه، أنا لم أكن طامعاً فى العرش ولم أكن خائناً لأخى...

هـاملت : وضعتنى فى مأزق، إمّا أن أهزمك فتنصبُّ علىّ لعنات القادمين، أو أنصرك فتنهال علىّ طعنات النبلاء ولا مخرج لى...

المـلـك : (ينظر إلى السماء) إنظر، السماء جرداء تماماً...

هـاملت : لا نجمة هناك تطل علينا...

المـلـك : وعلى أن أجد الطريق بنفسى...

هـاملت : بلا ضمير؟!

المـلـك : لقد ماتت الملكة...

هـاملت : كم أود أن أكتبك...

المـلـك : كم أود أن أقتلك...

هـاملت : سيكتبك القادمون وستخلد إلى الأبد..

المـلـك : سيدفنك النبلاء وستنسى إلى الابد..

هـاملت : كم أحقد عليك..

المـلـك : (يضحك منتشياً).

هـاملت : لكن النبلاء سيقتلونك...

المـلـك : هذا الحبل (مشيراً إلى الحبل الذى فى يده) جئت به لكى أضعه بيدى فى عنق أول نبيل يعدم فى ميدان عام بأمر الملك، رغم أنف الجميع..

هـامـلـت : سيقتلونك...

المـلـك : الخنجر الذى سيقتلونى به، سيقتل معى عالمهم القديم بأكمله.. لأن التجار يقفون لهم بالمرصاد.. (الملك ينفجر ضاحكاً، بهستريا) .

هـامـلـت : ينظر إليه مدهوشاً ثم ينفجر باكياً) ... كم أنت مهدر يا هاملت .. لم تتحقق أبداً، لم تكتمل أبداً...
(الملك لم يزل يضحك...) .

هـامـلـت : طول الوقت كنت انتحر بخنجر الوقت ولم أكن أعلم، لم أكن أعلم؟!..
أيتها الملكة.. هل ذهبتى إلى الأبد؟!، هل اخذتى معك كل شىء، حتى امى؟!
(يبكى..) .

المـلـك : التاريخ ليس بالمكان المناسب الذى يمكن فيه لعمّك أن يحتضنك فيه..

هـامـلـت : أريد أن أكتب عن طفل كان يعيش مع عمّه، وكان عليه أن يبكى كى يوقظ هذا العّم كل صباح، كل صباح كان يبكى، ويظل يبكى حتى يستيقظ العمّ... وذات يوم، بكى الطفل كالعادة.. لكن عّمه لم يستيقظ، بكى الطفل وبكى، دون ان يعلم بأنه سيظل يبكى الى الابد، لأن عمه كان قد مات...
(الملك يمد يده بالحبل إلى هاملت ينظر إلى الحبل قليلا.. ثم.. يتناوله بهدوء... ويمضى إلى منصة الإعدام.. ويعلقه.. ثم يدخل رأسه فى المشنقة..) .

ستـــار



مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٩٠٧٣/ ١٩٩٦

ISBN 977- 235 - 644- 9

يظل مسرح شكسبير منبعًا لا ينفد يستلهم منه المسرحيون في عصور مختلفة، تجارب مسرحية تمثل إعادة قراءة لأعماله مستندة على المتغيرات التاريخية في كل فترة. و(كلوديوس) واحدة من تلك التجارب المسرحية الجادة، التي تنجح في الاستفادة من تقنيات المسرح الحديث لتعيد نسج «دراما هاملت» برؤية عصرية تشتبك مع العديد من الأسئلة التي لن يكف الإنسان عن السعي وراءها.